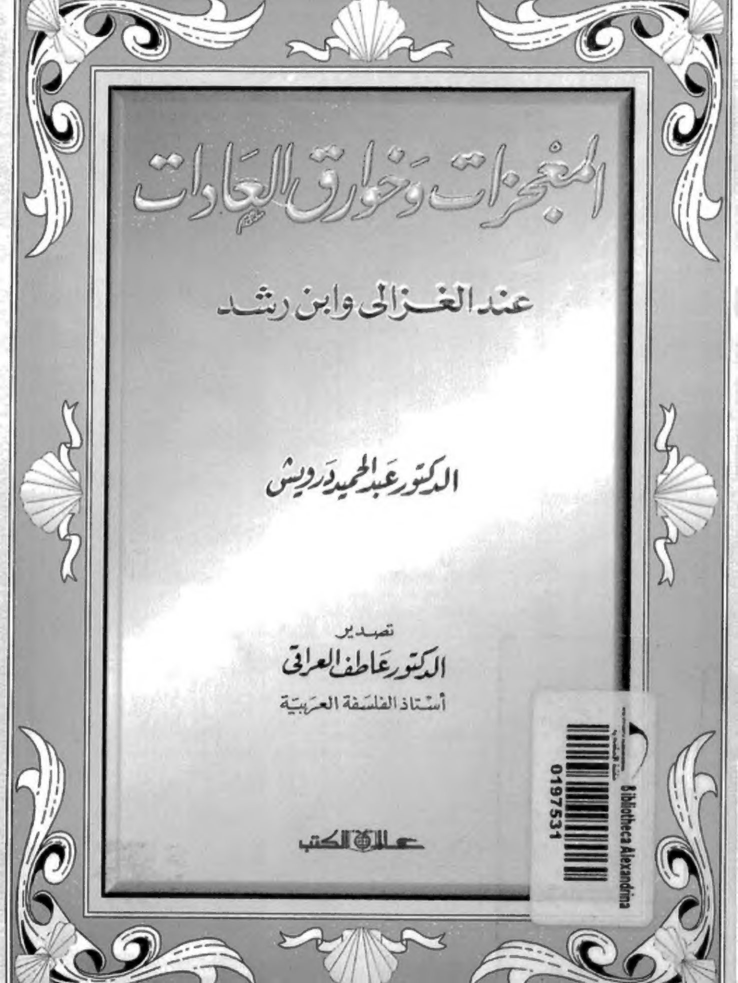


المعجزات وخوارق العادات

عند الغزالى وابن رشد

الدكتور عبد الحميد درويش

تصدير
الدكتور عاطف العراقى
أستاذ الفلسفة العربية

عالم الكتب

الدكتور عبد الحميد درويش

المعجزات وخوارق العادات

عند الغـزالى وابن رشد

تصـديـر

الدكتور عاطف العراقى
أستاذ الفلسفة العربيّة



الفلسفة الإسلامية

درويش ، عبد الحميد .

المعجزات وخوارق العادات عند الغزالي وين رشد / عبد الحميد درويش

؛ تصدير عاطف العراقي ـ ط ١ .ـ القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٠ .

١٢٨ ص ؛ ٢٤ سم .

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية (ص ١٢١ – ١٢٦) .

تدمك : ٦ – ٢١٩ – ٢٣٢ – ٩٧٧

١ – العنوان　　أ – رأس الموضوع

(١٨٩)

عالم الكتب

نشر * توزيع * طباعة

الإدارة :

١٦ شارع جواد حسني – القاهرة

تليفون : ٣٩٢٤٦٢٦

فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :

٣٨ ش عبد الخالق ثروت – القاهرة

تليفون : ٣٩٢٦٤٠١

ص.ب : ٦٦ محمد فريد

الرمز البريدي : ١١٥١٨

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م

رقم الإيداع ١١٢٢٥/٢٠٠٠

ISBN : 977-232-219-6

مطبعة أبناء وهبه حسان

٢٤١ (أ) ش الجيش – القاهرة

ت : ٥٩٢٥٥٤٠



الإهـــداء

إلى والـدي :

إلى الروح المطمئنة فى عالم البقاء

مع الصديقين والصالحين والشهداء .

رحم الله والدي ... آمين



تصدير

يحتل الفيلسوف العربى ابن رشد مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر الفلسفى العالمى . إنه آخر فلاسفة العرب وعميد الإتجاه العقلى فى بلداننا العربية من مشرقها إلى مغربها ، ويكاد يكون أكثر فلاسفة العرب تأثيراً فى بلورة العديد من الأفكار التى قال بها هذا الفيلسوف أو ذاك من الفلاسفة الذين وجدوا فى العصر الوسيط بصفة خاصة .

فلا تذكر الفلسفة العربية إلا وأن نضع فى الإعتبار المكانة الكبيرة لابن رشد ، ذلك الفيلسوف الذى يقف على قمة عصر الفلسفة العربية لتميزه بالحس النقدى الدقيق تماماً كالفيلسوف أرسطو قبله والذى يقف على قمة عصر الفلسفة اليونانية لحسه النقدى ، والقديس توما الأكوينى فى العصور الوسطى ، والفيلسوف الألمانى كانط فى العصر الحديث .

ورغم المكانة الكبيرة التى يحتلها ابن رشد ليس فى تاريخ الفكر العربى فحسب بل فى الفكر البشرى العالمى أيضاً ، إلا أن هذا الفيلسوف قد ظلم من جانب العرب بصفة خاصة حيّاً وميتاً وأنصفه الأوربيون ، وبحيث يمكن أن يقال أن أوربا قد تقدمت لأنها إختارت النموذج " ابن رشد " أما العرب فقد لحقهم التأخر والرجوع إلى الوراء والصعود إلى الهاوية لأن النموذج الذى إختاروه هو الغزالى تارة وابن تيمية تارة أخرى ، بالإضافة إلى الفكر الأشعرى فى بعض صوره .

لقد احتفل العالم منذ سنوات قليلة بذكرى مرور ثمانية قرون على وفاة الشامخ والعملاق ابن رشد ، وكانت هذه الإحتفالات وكأنها تعد تصحيحاً من جانب العرب للظلم الذى لحق بابن رشد الفيلسوف الذى حوكم ونفى أثناء حياته وأهملت أفكاره بعد مماته .

من هنا كانت سعادتنا حين أقدم تلميذى بالأمس وزميلى اليوم الدكتور عبد الحميد درويش على الكتابة عن جانب من جوانب الفلسفة الرشدية ، وما أكثر الجوانب الخصبة والثرية والتى بحث فيها ابن رشد .

لقد قام الدكتور عبد الحميد درويش والذى عرفته عن قرب أثناء دراساته الأولى بقسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وحين شاركت فى مناقشة رسالته للماجستير بآداب القاهرة وكانت عن المفكر الجزائرى عبد الحميد بن باديس ، كما عرفته خلال إشرافى على رسالته لدرجة الدكتوراه والتى حصل عليها من قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة وقد نالت درجة المرتبة الأولى .

نقول كانت سعادتنا كبيرة حين فكر الدكتور عبد الحميد درويش والذى يقوم الآن بتدريس الفلسفة العربية بكلية التربية ببورسعيد - جامعة قناة السويس ، فى دراسة موضوع المعجزات وخوارق العادات ليس عند ابن رشد فقط ولكن عند الغزالى أيضا ، إذ لا يذكر الغزالى إلا ونذكر معه ابن رشد ، وكلنا يعلم المعركة الفكرية التى قامت بين الغزالى والذى توفى عام ٥٠٥ هـ من خلال كتابة (تهافت الفلاسفة) ، وبين الفيلسوف ابن رشد والذي توفى عام ٥٩٥هـ الموافق ١١٩٨م من خلال كتابه تهافت التهافت والذى رد من خلاله على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى .

لقد كان الدكتور عبد الحميد درويش موفقا غاية التوفيق حين اختار هذا الموضوع مجالا للبحث والدراسة وخاصة أن فكر ابن رشد يختلف إختلافا يكاد يكون جذريا عن فكر الغزالى ، هذا بالإضافة إلى أن المنهج عند كل واحد منهما يختلف عن الآخر ، إذ من الواضح أن المنطلق أو الأساس عند الغزالى فى تكفيره للفلاسفة إنما كان المنطلق الدينى بصفة خاصة ، فى حين أن المنطلق الذى نجده عند ابن رشد فى ردوده على الغزالى وعلى الأشاعرة وأيضا الصوفية وابن سينا الفيلسوف المشرقى إنما كان منطلقا فلسفيا ، ومن هنا كان منطلقه غير منطلق الغزالى ومنهجه غير منهج الغزالى .

ورغم أننا نختلف من جانبنا مع باحثنا عبد الحميد درويش سواء حول رأى أو أكثر من الآراء التى ذهب إليها ، أو من حيث منهجه فى الدراسة ، إلا أن هذا الإختلاف من جانبنا مع الباحث يعد شيئا معبرا عن ظاهرة صحية وليس عن ظاهرة مرضية كما يزعم أشباه الباحثين وأشباه الأساتذة والذين إنتشروا فى جامعاتنا المصرية والعربية للأسف الشديد .

نقول إن هذا الخلاف فى الرأى يعد شيئاً متوقعاً لأن هذا الخلاف يعد من أبرز خصائص الفكر الفلسفى ، وبحيث لا نجد مفكراً أو فيلسوفاً إلا وقد إختلف مع الفلاسفة الذين سبقوه .

هذا بالإضافة إلى أن هذا الموضوع يتعلق كما قلنا بفكر مفكر مشرقى هو الغزالى ، وفكر فيلسوف أندلسى وهو ابن رشد ، إنه موضوع يدخل فى إطار الفلسفة الإلهية ، ونحن نعلم أنه توجد آراء كثيرة التنوع والتباعد فى مجال الفلسفة الإلهية على وجه الخصوص .

وقد حاول مؤلفنا الدكتور عبد الحميد درويش أن يقسم موضوع كتابه إلى مجموعة من المباحث الهامة : فنجده فى المبحث الأول يحلل حقيقة المعجزة وحكم الإعتقاد بها ، كما ينتقل فى المبحث الثانى إلى دراسة حقيقة المعجزة عند ابن رشد ، أما فى المبحث الثالث فإننا نجد باحثنا يخصصه لدراسة علاقة المعجزة بمشكلة السببية عند الغزالى من جهة وابن رشد من جهة أخرى . وهذا المبحث يعد مبحثاً هاماً إذ أننا نعلم أن مبحث المعجزة إنما يرتبط فعلاً بمبحث العلية أو السببية ، وكان رأى الأشاعرة ومن بينهم الغزالى منطلقاً من إعتقادهم بالعلاقة غير الضرورية بين الأسباب والمسببات ، أما على الوجه الآخر ، فإننا نجد موقف ابن رشد إنما يعد منطلقا من إيمانه بأن العلاقات بين الأسباب والمسببات تعد ضرورية وليست غير ضرورية .

وينتقل المؤلف من هذه المباحث السابقة إلى دراسة مبحث رابع وأخير وهو المبحث الخاص بالمعجزة والكرامة ، وقد وجد باحثنا أنه من الضرورى تحليل آراء كثير من المفكرين الذين إهتموا بهذا الموضوع ، وكان هذا ضرورياً كما قلنا لأننا نقول باستمرار : إن من لم يقرأ إلا أفلاطون لا يفهم أفلاطون ، أى لابد من دراسة كل رأى من خلال فكرة التأثر والتأثير : تأثر المفكر بسابقيه ومدى تأثيره فى بلورة فكر من عاشوا بعده .

ولا نشك فى أن باحثنا قد بذل جهداً وجهداً كبيراً فى دراسته التى يقدمها اليوم للطبع والنشر ، لقد رجع مؤلفنا الفاضل إلى عشرات المصادر والمراجع والتى إهتمت من قريب أو من بعيد بالفلسفة الرشدية من جهة وفكر الغزالى من جهة

أخرى ، ولا نشك أن غزارة المادة العلمية لدى الباحث تعد شرطاً وشرطاً رئيســـياً فى البحث الأكاديمى الجاد ، نقول هذا لأننا كثيراً ما نجد ضحالة فى المادة العلميـــة عند أشباه الباحثين والذين يكتبون فى كل شئ ولا يفهمون أى شـــئ ، إنـــهم أشـــباه باحثين ، إنهم أنصاف دارسين .

ولم يقتصر الدكتور عبد الحميد درويش على مجرد العرض الموضوعى لآراء هذا المفكر أو ذاك من المفكرين الذين شملهم بالدراسة بل نجد لدى باحثنا بعداً ذاتيـاً وذلك حين يلجأ إلى التحليل والمقارنة والموازنة بين العديد من الآراء .

وإذا كان القدر قد شاء أن أكتب سطور هذا التصدير فى ذكرى مرور خمســة أعوام على وقوفى أمام محكمة جنايات المنصورة بسبب قضية فكرية تتعلق بأبعـــاد الفلسفة الرشدية ، فإننا نشعر بأن روح ابن رشد ترفرف الآن فى سعادة فى العـــالم العلوى حين تجد إهتماماً بدراسة أفكار ابن رشد والذى ظلم كما قلنا حيّـــاً وميتـــاً ، ونرجوا لباحثنا الدكتور عبد الحميد درويش كل توفيق فى دراساته المقبلة .

والله هو الموفق للسداد ...

القاهرة : مدينة نصر فى ١٥/٥/٢٠٠٠

د. عاطف العراقى

استاذ الفلسفة العربية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . صلى الله عليه وسلم .

ما أحوجنا اليوم إلى مقولات العقل والمنطق لنحسم العديد من قضايا الجدل والخلاف التى أثيرت منذ قرون عدة ولا زالت تثير الجدل إلى اليوم وفى مقدمتها مسألة المعجزات والخوارق وعلاقتها بالنبوة والإعتقاد والعلل والأسباب .

ولاشك أن الدين قبل العلم يدعونا إلى التفكر والتأمل واليقين وفق منطقية الأشياء ، كما يدعونا إلى إكتساب المعارف والحكم وتحصيل العلوم والقواعد التى تعيننا على فهم أنفسنا وقضايانا ومعتقداتنا ، وإدراك الحقائق التى بين أيدينا وتلك التى تغيب عن حواسنا .

فكيف نتقدم إلى الأمام وحركتنا إلى الخلف ، وكيف نطالب بالتنوير والوعى وعقولنا مغلقة وقلوبنا عاجزة وأفكارنا متحجرة وضمائرنا غائبة أو نائمة .

هذا فى عصر يثبت العلم قدرته على قهر المستحيل وكشف أصحاب الخرافة والصدفة والجهالة من أعداء العلم وأعداء الدين .

ولقد حاولت فى هذه الدراسة إثبات أن اليقين غاية سامية لكل مفكر مستنير يؤمن بقدرة العقل على التمييز والفهم والحكم والتصحيح للمفاهيم الخاطئة والقضايا الشائكة .

ومن ثم أكدت هذه الدراسة على أن :

١ - صدق الإعتقاد القائم على الدليل والبرهان فى مقدمة الواجبات التى أمرنا بها حتى تكون أفعالنا موافقة لمعتقدنا وهدفنا فى الحياة .

٢ - المعجزات جاءت للتنبيه والتحذير وتصحيح الأفكار والمعتقدات وتقويم سيئ العادات وبيان سبل الهداية والإستقامة والنجاة .

٣ – المعجزات جاءت لإثبات العصمة والصدق للأنبياء وإثبات القدرة والإرادة والعظمة والحكمة لله وحده .

٤ – المعجزات تأتى من الله وحده للأنبياء والرسل فقط ، وهى تأتى موافقة للحكمة وحاجات البشر ، وأنها من الواجبات عند طلبها ومن الممكنات عند تعقلها والتفكر فيها .

٥ – المعجزات هى اللا معقول المحير لعقولنا ، والمستحيل الذى يستثير قدراتنا ، ووجب على العقل إدراكها وعلى القلب التصديق بها .

٦ – المعجزات دالة على ثبات المعرفة العقلية وثبات وإنتظام نواميس الكون ، وأن هذا الثبات هو مصدر اليقين والمعارف الصحيحة .

٧ – أن الغزالى لم ينكر السببية وانتظام قوانين ومظاهر الكون وحكمة الخالق ، وكذلك ابن رشد فإنه لم ينكر المعجزات أو إمكان وقوعها ، مع تأكيده على إستحالة إلتقاء المعجزة مع باقى الخوارق الحسية وكذلك السحر والكرامات .

هذا وقد قسمت الدراسة فى المعجزات والخوارق إلى أربعة مباحث رئيسية :

- المبحث الأول : تناول حقيقة المعجزة وحكم الاعتقاد بها من حيث المفهوم العام فى لغة العرب وآراء المفسرين ورجال الكلام الذين تناولوا المعجزة فى إطار الممكن العقلى والوجوب الشرعى بمعنى يختلف عن ما قدمه الفلاسفة وعلى رأسهم ابن رشد الذى لم يقف عند حدود المفهوم اللغوى أو الإصطلاحى السطحى بل تجاوزه إلى جوهر المعجزة والغاية من وقوعها وفائدتها . مع التركيز على إرتباط المعجزة بالرسالة والإيمان بالله وصدق الرسول .

- المبحث الثانى : تناول حقيقة المعجزة عند ابن رشد وشروطها ومدى تميز المعجز الجوانى العقلى عن المعجز الحسى البرانى ، وأن المعجزة كآية دالة مقنعة على قدرة الله وصدق الرسول ، مع إستعراض البراهين والشروط التى تثبت وجوب التصديق بالمعجزة وجوهر الرسالة الدال على الحكمة والعدل والنظام وحتمية القانون الإلهى والطبيعى معا .

ثم عقدنا مقارنة بين الشروط التى حددها المتكلمين لتحقق المعجـــزة وبين الشروط التى قدمها ابن رشد ومدى التميز والإختلاف بينهما .

- **المبحث الثالث**: تناول المعجزة والسببية عند الغزالى وابن رشد ، والتـأويلات التى قدمها الغزالى لكلمتى العادة والإقتران التـــى فسـر بـــهما الغزالـــى المعجزة ، ومحاولة إثباته أن السبب ليس فى الغالب هو العلة المباشـــرة أو الوحيدة لحدوث المسبب ولكنه ظاهرة تقترن بالمســـبب ، وهـــذا يعنـــى أن جميع الحوادث والممكنات ليس لها علة إلا إرادة الله .

كما أوردنا إعتراضات ابن رشد على آراء الغزالى فـــى المعجـــزات ومحاولة ابن رشد إثبات الترابط الضرورى بيـــن الأسـباب والمســببات وعلته ، وتنبيه الغزالى إلى مدى خطورة القول باستحالة خرق العادة ومـــا يترتب عليه من القول باستحالة المعجزات .

وفى ختام هذا المبحث قمت بتحليل مبررات كل من الغزالـــى وابـــن رشد ، ومدى إتفاق آراء كل منهما مع ضرورات المنطـــق ومقتضيـــات الإيمان .

- **المبحث الرابع** : تناول المعجزة والكرامة والفرق بينـــهما ، وآراء المتكلميـــن واختلافها حول مدى ووجوه التشابه بين المعجزة والكرامة ومدى الحاجـــة إليهما ، وكذلك أوجه الإختلاف بينهما من حيث العمـــوم والخصـــوص ، العصمة والظهور ومدى حاجة الناس إلى كل منهما ، ومن حيث التكـــرار والصدق والوقت والإستطاعة ، ومن حيث الحكمة والغايـــة كذلـــك ، ثـــم أوردنا نماذج من معجزات وكرامات الأنبياء والرسل والأولياء .

والله الموفق والمعين

والحمد لله رب العالمين

د / عبد الحميد درويش عبد الحميد

بهتيم - شبرا الخيمة

فى يوم الجمعة الموافق الرابع من ذى الحجة ١٤٢٠هـ الموافق العاشر من مارس ٢٠٠٠م .

المبحث الأول

في حقيقة المعجزة وحكم الإعتقاد بها

مفهوم المعجزة اللغوي

مفهوم المعجزة الإصطلاحي

حقيقة المعجزة عند المتكلمين

في حقيقة المعجـزة وحكم الإعتقاد بها

أولاً : مفهوم المعجزة اللغـوى :

قبل التعرض لرأى الفلاسفة والمتكلمين فى المعجزات وخوارق العـــادات ورد ابن رشد على الغزالى والأشعرية فيها ، كان من الضرورى عرض مفهوم المعجزة فى اللغة والاصطلاح الشرعى وبيان حقيقة المعجزة وحكـم الاعتقـاد بـها وفـهم السابقين على ابن رشد لها .

★ **والمعجزة فى معناها اللغوى لها عدة معان :**

١ - فهى اسم مشتق من العجز بمعنى الضعف وعدم القدرة أو الحزم ، فالعاجز هو الضعيف المقهور ، والتعجيز هو التثبيط . ودليل ذلك فى القرآن قوله تعـالى : فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه ، قال يا ويلتـى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النـادمين .[١] فعجز يعجز عن الأمر إذا قصّر عنه ولم يدركه .

٢ - وهى من الحيرة ، لأن الإعجاز أو العجز يسلب القدرة الذاتية على المواجهـــة فتتولد الحيرة لذا يقال : أعجز فلان أى حيره فلم يقدر عليه وأصبح عـــاجزاً ، ونقول : وقف فلان عاجزاً أى حائراً متردداً لا يقوى على قول شـــئ أو فعـل شئ فالحيرة عجز وضعف لقولنا : فلان أعجزه المرض أى أقعـــده المـرض وأضعفه ونقول أيضاً : أعجز القرآن الناس أى أثبت ضعفـــهم وحيرتـــهم فلـم يقدروا على الإتيان بمثله أو فهم جل حكمه .

٣ - وهى من أصل الشيء وأساسه لأن أعجاز النخل أصولـــها وأعجـــاز الأمـــور أواخرها ، ودليل ذلك فى القرآن قوله تعالى " تنزع الناس كأنهم أعجـــاز نخـــل منقعر :[٢] فى إشارة إلى ضرورة تدبر عواقب الأمور قبل الدخول فيها .

---

(١) المائدة : ٣١ .

(٢) القمر : ٢٠ .

٤ – وهى من القدرة الفائقة التى لا مثيل لها والتى لا يقدر عليها بشر . فالمعجز هو القادر وهو الله وحده . ودليله فى القرآن قوله تعالى : " وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الأرض " [١] .

وقوله تعالى : " فاعلموا أنكم غير معجزى الله " . [٢]

٥ – وهى من العناد أو التقصير ، فالعاجز عن الأمر المقصر عنه ، والمعاجز المعاند ، ودليل ذلك قوله تعالى : والذين سعوا فى آياتنا معاجزين . [٣] قال الزجاج : معناه ظانين أنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار . وفى تأويلها أنهم يعجزون من اتبع النبى ﷺ ويثبطونهم عنه وعن الإيمان بالآيات وقد أعجزهم.

ولا شك أن هذه المعانى الاشتقاقية كانت المصدر لفهم حقيقة المعجزة على أنها الأمر الخارق للعادة المقترن بالتحدى ، على اعتبار أن المعجزة هى القدرة الخارقة التى تفوق قوى البشر ، وهى الأمر الذى يظهره الله على يد النبى ﷺ تأييدا لنبوته ، وأن حكمتها إثبات عجز البشر وضعفهم فى مقابل قدرة الله المعجزة القادرة وحدها على الإتيان بالمعجزات والخوارق ، ومن ثم كان الإجماع على أن المعجزة هى ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وإذا شاهدوها أو سمعوا بها تأكدت معرفتهم وصدق إيمانهم . [٤]

ثانيا : مفهوم المعجزة الاصطلاحى :

تظهر حقيقة المعجزة فى معناها الاصطلاحى من خلال عدة معان ، ومن خلال ارتباط المعجزة بباقى الخوارق كالسحر والكرامات ومن خلال إرتباطها بالوجوب والإمكان والوحى والرسالة ، ومن خلال جوهرها كدليل وبرهان .

---

(١) فاطر : ٤٤

(٢) التوبة : ٢

(٣) سبأ : ٥ ، الحج : ٥١ .

(٤) راجع : أصل كلمة معجزة ومعانيها الاشتقاقية فى " لسان العرب لابن منظور . طبعة القاهرة – الكتاب المصرى ج٤ ص٢٨١٦ وطبعة دار الفكر – بيروت م٥ ص ٣٦٩ – ٣٧٣ . وكذلك المعجم الوسيط ط٢ ١٩٧٢ . ج٢ ص ٥٨٥ ، وفى المختار الصحاح ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

★ **فمن جهة الشكل** : تظهر حقيقة المعجزة فى صور ثـلاث قوليـة وفعليـة وتركية ، قولية كالقرآن الكريم ، وفعلية كنبع الماء وإحياء الموتى ، وتركية كعـدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام . ومن جهة المعنى تظهر حقيقة المعجـزة علـى ثلاث معان إيجاد معدوم كخروج الناقة من الصخر ، وإعدام موجود كإبراء الأكمـه والأبرص ، وإما تحول الموجود كقلب العصا حية تسعى .

وهى فى أشكالها ومعانيها هى الأمر الخارق للعادة المقترن بدعـوى الرسـالة والذى يتحدى به النبى ﷺ معارضيه لأنها دليل نبوته .

★ **ومن جهة الوجوب** : تظهر حقيقة المعجزة لان حاجة الناس للمعجـزات لا تقل عن حاجة الرسل والأنبياء لها ، إذ هى من ضرورات الإيمان والتصديـق بوجـود الله وقدرته وأنه تعالى مرسل الرسل الذين اصطفاهم لهدايـة البشـر ، وهـى الدليـل والبرهان على صدق الأنبياء ورسالاتهم . فالتصديق بها تصديق بقـدرة الله وعظمتـه وشمول قدرته وإرادته وهى من الواجبات لأنها دليل العصمة وهـى نفسـها عاصمـة وحافظة لهم قد طلبها موسى لإنقاذه من فرعون واتباعه وطلبها الرسـل للنجـاة مـن قومهم الظالمين ، ومن ثم كانت المعجزات من الواجبات عند طلبها ومـن الممكنـات عند تعقلها والتفكير فيها .

★ **ومن جهة جوهرهـا كدليل وبرهان:** هى اختبار لمدى استعداد البشـر لتقبـل تعاليم السماء ، واختبار لمدى الطاعة وصدق العبادة ، ومن ثم وجب علـى الرسـول إظهارها وتبليغها ، ووجب علينا التصديق بها حال وقوعها والسماع بخبرها سواء كنـا من المشاهدين لها الحاضرين لوقوعها أو ممن وصلتنـا بالسـماع والتواتـر بـالخبر الصادق بالكتاب والسنة والإجماع ، ولصدق الرسل فى الإخبـار عـن الله ، ولحقيقـة الصدق فى ذاته بوصفه مطابقة الخبر للواقع كما فى الحديث : " صدق عبدى فى كـل ما يبلغ عنى "

★ **ومن جهة الإعجاز كقدرة** : فهى سلب القدرة ، لأن المعجز هو الغالب القـادر ، والعاجز هو الضعيف المقهور ، فهناك جهة غالبة معجزة وهناك جهة أخـرى مغلوبـة

أى عاجزة . فالعجز ضد القدرة أى سلب القدرة عن الإنسان فى شئ لا يستطيع أن يقوله أو يفعله أو يتركه . (١)

ثالثاً : حقيقة المعجزة عند المتكلمين :

لقد استعان رجال الكلام بالمعانى اللغوية فى بيان حقيقة المعجزة والحكمة منها ، وأخضعوا مصطلح المعجزة للتأويل مثل باقى المصطلحات الكلامية ، فى محاولة للرد على منكرى المعجزات والقائلين باستحالة النبوات عقلاً كجماعة السمنية والبراهمة والصابئة (٢) وكذلك القائلين بالإمكان كالسلف والأشعرية والذين تمسكوا بالقول بأن المعجزة هى الخارقة .

لذا اهتم رجال الفرق بحقيقة المعجزة وبيان مدى الحاجة إليها وأهم شروطها مع الاجماع على أن المعجزة هى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة ، وهى دليل وبرهان صدق النبى ودليل تأييده من قبل القدرة الإلهية المطلقة ، وإنها الآية التى بها هداية البشر وحفظ حياتهم وتنظيم شئونهم وتأكيد إيمانهم بشواهد مادية ومعنوية خارقة تثبت صدق النبوة وهى المعجزة .

---

(١) راجع المعانى الاصطلاحية للمعجزة فى كتب التفسير ، وعلوم القرآن والعقائد وفى : جواهر التفسير . للشيخ أحمد بن حمد الخليلى ط مسقط ص ٤٥ . وفى مباحث فى علوم القرآن للشيخ مناع القطان, ط مؤسسة الرسالة سوريا ، ط١٩٨٣ وط١٠ – مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٧. ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) السمنية : جماعة من أصحاب التناسخ ، اشتهر عنهم القول بقدم العالم وابطال النظر والاستدلال ، وانكروا المعاد والبعث ، وانتشرت آرائهم قبل الإسلام فى بلاد الهند وفارس ، وانكروا النبوة والرسالة .

البراهمة : تنتسب إلى ابرهما الهندى الذى ادعى الألوهية والقدرة الخارقة ووضع كتاباً فى ذم الدنيا وسعادة الفناء ومعنى الخير والشر وانتشرت البراهمة كديانة وثنية فى الهند وفارس وانتقلت إلى اليونان وقالت بتعدد الآلهة والحلول والتناسخ واستحالة النبوة عقلاً .

الصابئة : ديانة وثنية قديمة ، تكونت من عبدة الكواكب والنار . انكروا النبوات واعتقدوا أن الكواكب ملائكة وأن لها أثر فى حياة البشر .

وهذه المعانى جمعها أبو منصور البغدادى ت ٤٢٩هـ فى كتابة " أصول الدين " حين قال : والمعجزة عند المتكلمين هى الأمر الذى يظهر بخلاف العادة فى دار التكليف لإظهار صدق ذى نبوة من الأنبياء أو ذى كرامة من الأولياء ، وهى نقيض القدرة ، والمعجز فى الحقيقة هو فاعل العجز فى غيره وهو الله تعالى .(١)

– والمعجزة عند المعتزلة كما يقول البغدادى : هى ما قصد به إظهار الصدق أى صدق من أدعى أنه رسول من قبل الله ، وهى على ضربين : ضرب ينفرد به الله تعالى ولا يدخل تحت قدرة العباد بحال مثل اختراع الأجسام (الخلق من عدم) . وضرب يدخل مثله تحت قدرة العباد ولكن يمتنع عليهم أن يأتوا على مثل ما يقع من الله ، مثل بلاغة القرآن ، فهم يقدرون على اليسير من البلاغة وإن تعذر عليهم الكثير من تجانس قليله وكثيره .

وأضاف الباقلانى إلى ذلك شرط التكليف: أى وقوع المعجزة فى حدود الزمان والمكان . لأن المعجزة خاصة بدار التكليف ولأن ما يظهره الله تعالى فى الآخرة من الأمور الخارجة عن العادة لا يكون بمعجزة .

والمعجزة عند جمهور المتكلمين تقع بقدرة الله على يد النبى ﷺ للتحدى بها بإذن الله ودلالتها على الصدق قطعية ، وهى آية وبرهان تعرف بالضرورة ، ومن ثم فللعقل دور هام فى إدراك حقائق المعجزات وهو سبيل معرفة حجة الرسل والتمييز بينها وبين تمويهات السحرة أو كرامات الأولياء . (٢)

وقد حدد المتكلمون شروط المعجزة المتفق عليها على العموم وهى :

١ – أن تكون المعجزة من فضل الله عز وجل أو ما يجرى مجرى فعلة وإن لم يكن فى نفسه فعلاً .

---

(١) هذا المفهوم هو الذى عارضه ابن رشد لأنه مفهوم عام لايميز بين معجزة وأخرى أو نوع وأخر ، ويجعل كل معجزة خرق للعادة مع أن المعجز العقلي موافق للعادة وموافق للعقل والمنطق والبرهان وهو ما ستعرفه من سياق البحث عند عرض رأى ابن رشد وتمييزه بين المعجز الحسى والمعجز العقلي .

(٢) د. على عبد الفتاح المغربى : النبوة والأنبياء ص ١٢٧ .

٢ – أن يكون فعل المعجزة ناقضاً للعادة فيمن هو معجز له وحجة عليه .وهذا الشرط عارضه الفلاسفة وفى مقدمتهم ابن رشد . وبعض المتكلمين منهم الباقلاني والجويني لأنهم جعلوا للعقل دوراً فى التصديق بالمعجزات وفهمها ولم يوافقوا الرأى القائل بأن المعجزات خوارق خارجة على حكمة الكون وانتظام قوانينه .

٣ – أن يتعذر على المتحدى به فعل مثله فى الجنس أو على الوجه الذى وقع التحدى عليه .

٤ – أن يكون مطابقاً لدعوى من ظهرت عليه على وجه التصديق ، فإما أن شهدت بتكذيبه فهى خارجة من هذا الباب .

٥ – أن لا يتأخر في دعواه تأخراً يعلم أنه لا يتعلق بها .

٦ – أن يكون ذلك فى زمان التكليف . (١)

وقد حاول الشهرستانى فى كتابه نهاية الإقدام فى علم الكلام الرد على بعض أقوال المتكلمين خاصة قولهم " بأن الخارق للعادة إذا تكرر وتوالى صار معتاداً بالاتفاق ، وقولهم بأن اقتران المعجزة بدعوى المدعى لا ينهض دليلاً على صدقه فقال : إن اقتران المعجزة بدعوى النبى ﷺ نازل منزلة التصديق بالقول وذلك أنه متى عرف من سنة الله تعالى أنه لا يظهر أمراً خارقاً للعادة على يد من يدعى الرسالة عند وقت التحدى والاستدعاء إلا لتصديقه فيما يجرى به واجتماع هذه الأركان إنتهض قرينة قطعية دالة على صدق المدعى ، وكأن المعجزة بالفعل كالتصديق شفاها بالقول .. وأنه لا طريق إلى التصديق الا بالقول والفعل ، وإظهار النبى ﷺ العجز من نفسه ويحيل الحول والقوة إلى مرسله لأنه لا ينطق عن السهوى ولا يتحرك إلا على متن الهدى ، وأن صدق النبى ﷺ فى جميع أقواله خير دليل قولى على صدقه لأنه لم يدعى الرسالة لنفسه ... . وأن المرجح للصدق هى القراين الحاصلة من اجتماع أمور كثيرة : منها الخارق للعادة ، ومنها كونه مقروناً

---

(١) البغدادى : أصول الدين ص ١٧٠ – ١٨٤ ، وكذلك جوهرة التوحيد للباجورى ومشارق أنوار العقول للسالمى ج٢ – ص ١١ ، ١٢ .

بالدعوى ، ومنها سلامته عن المعارضة ، . ومنها أن الآية الخارقة للعادة كما دلت بوقوعها على قدرة الفاعل وباختصاصها على إرادته وبأحكامها على علمه، كذلك دلت بوقوعها مستجابة لدعاء الداعي ، ومن كانت دعوته مستجابة عند الله يستحيل أن يكون في دعواه كاذباً على الله تعالى .. ولو أننا لا ننكر أن يظهر خارق للعادة على يد ساحر لكن الشرط هو أن يكون المدعي في حال ما يدعي مستجاب الدعوة بالآية حتى تكون الآية دالة على صدق حالته ودرجته عند الله .

وأن قرينة الصدق ملازمة لتحدى النبي ﷺ الصادق عند الله ، لأن المعجزة تنقسم إلى منع المعتاد وإلى إثبات غير المعتاد ، أما المنع فكا لجنس من الحركات الاختيارية مع سلامة البنية وإحساس التيسير ، والثاني في مجرى العادة ومثال ذلك تيه بني اسرائيل في قطع الطريق ومنع السحرة من التخييل وحصر زكريا عليه السلام من الكلام المعتاد .

ويفسر الشهرستاني حقيقة المعجزة وهذه الشروط بقوله : إنه يجوز أن يقدر صرف الدواعي عن المعارضة بمثل ما جاء به النبي ﷺ من جنس المعجزات وإن كان ذلك من قبيل مقدوراتهم ولهذا عد بعضهم إعجاز القرآن من هذا القبيل وهو مذهب الجمهور ، ويجوز أن يقدر منع الناس عن التحدي بمثل ما تحدى به النبي ﷺ من جنس المعجزات فلا يقدر أحد على المعارضة بالدعوى فضلاً عن معارضته بالخارق للعادة ويكون لهذه المعجزة قرينة متصلة بنفس الدعوى ، حتى لا تخلو قط دعوى نبي من الأنبياء عن قرينة الصدق ولا تتأخر الدلالة عن نفس التحدي . (١)

وهكذا كان فهم الشهرستاني لحقيقة المعجزة والصلة الوثيقة بين المعجزات والخوارق وبين التصديق بالرسل واثبات النبوات ووجوب العصمة لهم والتصديق برسالاتهم .

وقد انتقلت هذه الشروط والآراء التي آثارها رجال الكلام إلى كتب التفسير لبيان حقيقة المعجزة ولبيان الفرق بينها وبين الخوارق كالسحر والكرامات وما

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام : عبد الكريم الشهرستاني ص ٤٢١، ٤٢٧ :

يظهر على أيدى أصحاب الحيل أو الصالحين من غير الأنبياء ، وأضاف المفسرون إلى أركان الشريعة والإيمان وجوب الإيمان بالمعجزات لأنها السبيل إلى الإيمان والتصديق بالرسل .

كما اهتم رجال السلف ببيان حقيقة المعجزة وشروطها والحاجة إليها وتميزها عن كرامات الأولياء وقالوا : لابد للنبى ﷺ من معجزة واحدة تدل على صدقه فإذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه ووجوب طاعته فإن طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله عز وجل ، إن شاء أيده بها وإن شاء عاقب المطالبين له بها لتركهم الإيمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه ، وهذا خلاف قول من زعم من القدرية أن النبى ﷺ لا يحتاج إلى معجزة أكثر من إستقامة شريعته كما ذهب إليه ثمامة . (١)

وأضاف القرطبى إلى ذلك شرط مسايرة المعجزة لعصرها وأن تكون رسالة وغاية لصاحبها كما كانت معجزة القرآن ، لأن حقيقة المعجزة هى أمر خارق للعادة يظهر على يد من بعثه الله بدعوته من رسله إلى خلقه ، ولكى تكون كذلك , لابد أن تكون المعجزة مما لا يقدر عليه البشر , وأن تكون مؤيدة له ودالة على صدقه , لا دالة على كذبه ، وأن لا يقدر أحد على الإتيان بمثلها لأن لو جاء أحد بمثلها لم تكن معجزة ، وأن تكون مثل المعجزات المعروفة (بشروطها وظروفها) وفى مقدمتها القرآن الكريم وعصا موسى وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام بإذن الله وخروج ناقة صالح من الصخرة ، وأن تتعدد وتتنوع بحسب الظروف (ظروف العصر والإنسان) الذى استوجب نزول الرسالة أو المعجزة ، فمثلاً كانت معجزة إبراهيم عليه السلام عجز النار على إحراقه أمام عبدة النار والأوثان من المجوس والصابئة ، وكانت معجزة موسى عجز السحرة أن يأتوا بمثله فى عصر تقدم السحر فى مصر القديمة ، وكانت معجزة عيس عليه السلام فى ابراء الأكمه والأبرص ومولده بلا أب ، وإحياء الموتى بإذن الله فى عصر تقدم الطب والحكمة والفكر المادى المحسوس .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ط دار المعرفة بيروت ص ٣٤٤ .

ولأن المعجزات والخوارق من صميم قضايا العقيدة فقد حرص رجال الكلام على فهم حقيقة المعجزة وليس مجرد عرض شروطها وعمدوا إلى تحليل معنى المعجزة وحقيقتها وحكمتها ورفضوا أن تكون المعجزة من الخوارق التى تخرج عن الحكمة الكونية وانتظام قوانين الطبيعة الإلهية . وكان ابن رشد الذى تبنى أراء المتكلمين فى المعجزة أكثرهم شجاعة حين رفض المعنى الظاهر أو المادى لحقيقة المعجزة بوصفها الأمر الذى يظهر بخلاف العادة والذى يخرج عن العادة المألوفة وعلل الكون المعروفة كما رفض أن تكون المعجزة واقعة فى دائرة الممكنات بعيداً عن قوانين السببية والضرورة التى تحكم الوجود الكونى العام .

وكانت خطورة القول باستحالة خرق العادة فيما يترتب عليه من القول باستحالة المعجزات ، وكيف ذلك والمعجزات ضرورة واجبة لحاجة الناس إليها ليصدق إيمانهم بالرسل وبقدره الله ، وحاجة الأنبياء للتأييد والتصديق وحاجة الناس للشرائع والأحكام والرسالات ، وحاجتهم للعلم والمعرفة وتصحيح معتقداتهم وأفكارهم وكذلك عاداتهم .

ولم يجد ابن رشد وكذلك رجال الكلام مخرجاً سوى القول بأن الرسالة هى المعجزة التى يجب إدراكها بالعقل مع استحالة خرقها لقوانين الكون . وأن جوهر الرسالة فى اتساقها وتماسك مبناها وحفظها وتناسق أجزائها وصدق أخبارها وأحكامها وإقناعها لمشاهديها كدليل عقلى وواقعى مقنع بصدق الرسل وقدرة الخالق سبحانه ..

وقد وافق ابن رشد رجال الكلام على تمييزهم بين المعجزات الحسية والمعجزات العقلية وأن المعجزة على الحقيقة هى الآية والوحى المنزل من قبل الله على رسوله لإظهارها وتبليغها وأن هذه الآية ليست كالخارقة التى صاحبت الأنبياء والرسل السابقين .

وهذا ما سنعرضه بالتفصيل فى المبحث القادم عند عرض آراء ابن رشد فى حقيقة المعجزة والفرق بين المعجز الحسى والمعجز العقلى والشروط الواجب توافرها فى المعجزة كآية دالة على وجود الله وقدرته .

المبحث الثانى

في حقيقة المعجزة عند ابن رشـد

مفهوم المعجزة عند ابن رشـد

شـروط المعجزة عند ابن رشد

المعجز الحسي والمعجز العقلي عند ابن رشد

حقيقة المعجزة عند ابن رشد

أولاً : مفهوم المعجزة عند ابن رشد :

- اهتم ابن رشد ببيان مفهوم المعجزة وحقيقتها وحكم الاعتقاد بها والفرق بينها وبين باقى الخوارق وذلك فى المؤلفات التى خصصها للرد على أراء الفقهاء وأصحاب المذاهب وفى مقدمتهم الأشعرية والغزالى مثل : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، تهافت التهافت ، حيث أكد أن المعجزة هى الآية الواضحة بذاتها والدالة على القدرة والإرادة والحكمة الإلهية وليست هى الخارقة التى تخرج أو تخرق قوانين العادة والطبيعة والحتمية . ومثالها القرآن الكريم بوصفه الآية المعجزة الصادقة والمقنعة بذاتها والتى وجب على العقل إدراكها والتصديق بها . فالمعجزة عند ابن رشد : الآية المقنعة الدالة على قدرة الله ، وعلى صدق الرسول ورسالته .

★ ويدلل ابن رشد على صدق رؤيته هذه بأدلة منها :

١ - إن وضع المعجزة فى إطار الواجب العقلى أفضل من وضعها فى إطار الممكن ، بمعنى إمكان خرق العادة وقوانين الطبيعة ، وإذا كانت المعجزة ممكنة من حيث الحدوث والإدراك ، فإن هذا الإمكان مرده أن قدرة الله على عمل يعجز عنه الإنسان أمر لا ينكره مؤمن بالله ، ولا ينكره العقل كذلك . وعلى ذلك فالمعجزة أمر يجيزه الشرع ويقره العقل ، وإرادة الخالق لا يعجزها أمر من الأمور .

٢ - إن الإيمان بالله والرسل واجب قبل الإيمان والتصديق بالمعجزات بوصفها خوارق ، مع ضرورة فهم أن المعجزات ليست كلها خوارق وليست كلها حسية مشاهدة . ودليله أن الإسلام لم تكن من حجيته المعجزات ، بل كانت معجزته آيات الكتاب المحكمة فى التنظيم والترتيب والأسلوب والبلاغة والمعرفة . ولو صدق الناس بالمعجزات الحسية وحدها لما جاء القرآن على هذه الصفة من

الحكمة والإقناع وبدليل قوله تعالى : " وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون " (١) .

٣ - إن المعجزة هى الشريعة نفسها التى (صرح) بها واضع الملة وصدع بها النبى ﷺ . فالشريعة هى الأصل الأول الدال على حقيقة المعجزة . من أجل ذلك فالمعجزة يجب أن تتميز عن باقى الأمور الخارقة للعادة كالسحر والكرامات أو معجزات الحس التى جاءت على أيدى الأنبياء والرسل كقلب العصا حية أو انفلاق البحر.

فهذا التميز للمعجزة كشريعة ورسالة دليل ابن رشد على أن المعجزة ليست هى الخارقة التى تخرق قوانين الكون المنظمة له ، ويدل فى نفس الوقت على أن المعجزة هى الآية والدليل على صدق الأنبياء والرسل ، ومن ثم فالمعجزة يجب أن تكون هى الرسالة التى يأتى بها الرسل لإثبات نبوتهم واثبات واحدية الإله وقدرته ، ولأن الدليل الوحيد والأكيد الذى يثبت صدق رسالة من الرسالات هى الشرائع نفسها التى تتضمنها تلك الرسالات والحقائق التى تكشفها للناس وما يكون فيها من صلاح وخير لهم . (٢)

ولتأكيد ذلك أوجب ابن رشد إرتباط المعجزة بالنبوة والرسالة وصدقها وسلامة جوهرها ، ولذا فالمعجزات كخوارق للعادة لا تقع فى دائرة الإمكان بل تقع فى المرتبة الثانية فى الدلالة على صدق النبوة لأن الدلالة الأولى بالطبع هى الرسالة أو الشريعة التى يأتى بها الرسول وليس المعجزة الحسية المشاهدة ، بدليل أن النبى ﷺ لم تكن من حجيّته الخوارق بل دعوته وقرآنه. (٣)

٤ - إن المعجزة آية مقنعة وحقيقتها فى مسايرتها لأحكام العقل والدين وأحكام الكون وقوانينه . ولأن المعجزة أية ظاهرة وصادقة فهى لا تحتاج إلى دليل أو برهان أو هى فى نفسها الدليل والبرهان على صدق الرسل .

---

(١) الإسراء : ٥٩ .

(٢) عباس محمود العقاد : ابن رشد . ص ٦٦-٦٧ .

(٣) عباس محمود العقاد : ابن رشد . ص ٦٦-٦٧ .

والمعجزة بهذا الشكل خاضعة لإدراكات العقل والتصديق بها واجب ، وهي لا تخرج بحال عن نظام الكون الإلهي في دقته وحكمته وقوانينه وحتميته . وبالتالي فالمعجزة ليست خارقة لقوانين العقل والعليّة كما ذهب الغزالي والأشعرية وفقهاء الكلام .

ودليل ذلك عند ابن رشد أن القرآن هو معجزة الإسلام المتميزة والمختلفة عن باقي المعجزات وخوارق العادات ، وأن القرآن كرسالة ومعجزة لا يتعارض مع قوانين العقل والعليّة لتوافقه مع المنطق والبرهان ، ويثبت ذلك ويؤكده أن وسيلة العارف إلى الإيمان يصدق النبي ﷺ هو معرفة الحق في دعوته وليست هي رؤية الخوارق ، فإذا وقعت المعجزة صدق المشاهد لها بأنها عمل لا يقدر عليه غير الإله ، فلا بد إذن من الإيمان بالله والتصديق بالرسل قبل الإيمان والتصديق بالخوارق والمعجزات .

٥ - إن المعجزة يجب أن تكون لحكمة مفهومه لدى الخواص الذين يستطيعون التمييز بين الخارق الذي من نفس وضع الشرائع والخارق الذي ليس من نفس وضعها ، أي أن حقيقة المعجزة وأهميتها يتطلب التمييز بين المعجزات التي هي خوارق للعادات وبين الرسالة كمعجزة ، كما يتطلب التمييز بين ما يدركه الخواص وبين ما يمكن أن يذاع للعوام .

ولقد حاول ابن رشد من خلال هذه الأدلة بيان مدى تميز المفهوم الذي يقدمه للمعجزة وحقيقتها عن تلك المفاهيم الشائعة التي قدمها المفسرون والفقهاء وعلماء الكلام وحتى الفلاسفة . ورفض ابن رشد أن تكون المعجزات خوارق على اعتبار أن هناك فروقاً واضحة بين المعجزة والخارقة كما هو الحال بين المعجز الحسي والمعجز العقلي ، وبين المعجزة وغيرها من الخوارق التي يقدمها أصحاب الحيل والتخييلات من السحرة أو تلك التي تأتي معونة للأولياء والصالحين وكراماتهم .

وفي هذا الإطار كان رفض ابن رشد للمفهوم العام للمعجزة بوصفها الأمر الذي يظهر بخلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء ، لأنه مفهوم لا يميز بين معجزة وأخرى أو نوع وآخر ولا

يراعى حكمة الله وغاية الوجود والخلق وانتظام الكون العام وفق قوانين العلية والضرورة .[1]

فالمعجزة فى مفهوم ابن رشد ليست خارقة لقوانين العقل والعليّة وإلا تعارضت مع الحكمة والدقة التى تحكم الكون وتنظمه وهى فى حقيقتها ليست خارجة على نظام العلة والمعلول .

وحقيقة المعجزة عند ابن رشد لا تظهر إلا على أساس التصديق العقلى بوقوع المعجزات وارتباطها بالنبوة والتمييز بين المعجزة وغيرها من الخوارق ، ثم تحديد مصادر العلم بالمعجزات والتى على أساسها يتم التمييز بين المعجزات والخوارق .

وهو يوضح ذلك فى كتابه " الكشف عن مناهج الأدلة " حين يقول : إن المعجزة علامة خارجية قد تؤكد وجود الرسالة وأن صاحب المعجزة نبى مرسل غير أنها ليست دليلاً على صحة رسالته ، وعامة الناس ترى فى المعجزة دليلاً إلا أن الدليل الوحيد الذى يثبت صدق رسالة من الرسالات هى الشرائع نفسها التى تتضمنها تلك الرسالات والحقائق التى تكشفها للناس وما يكون فيها من صلاح وخير لهم ، والمثال على ذلك رجلين كل منهما يدعى الطب أحدهما يبرهن على صدق دعواه بأنه يبرئ المرض والثانى يثبت دعواه بأنه يسير على الماء ، فالسير على الماء أمر خارق ومعجز ولكنه ليس دليلاً على أن صاحبه طبيب .[2]

وهذا يعنى أن الخارقة التى يطلق عليها البعض اسم المعجزة ليست وحدها دليل الصدق ، ومن ثم فإن الشريعة أو الرسالة نفسها هى الأصل الأول الدال على حقيقة المعجزة وليس مجرد الرؤية العيانية لخارقة من الخوارق ولذا قالوا بوجوب التميز بين المعجزات التى هى من قبيل الخوارق وبين المعجزات التى يؤيدها الشرع ويدركها العقل ، لانها معجزات تقوم على أساس التصديق العقلى من جهة والتصديق بالنبوات من جهة أخرى ، والمثال عند ابن رشد على ذلك رؤيا يوسف عليه السلام فى السنين العجاف والوصول للحكم ، وكذلك إعلام النبى ﷺ عن الأشياء

---

(١) ابن رشد : فصل المقال : ص ٣٢-٤٥ ، د. ماجد فخرى : ابن رشد ص ١٠٨ .

(٢) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٢١٦ ، وفى النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد للدكتور/العراقى ص ٣٥٣-٣٥٤ ، وفى ابن رشد للعقاد ص ٦٧-٦٩ .

المستقبلية وحدوثها بالفعل فتلك من دلائل النبوة الواجبة التصديق كما يقول ابن رشد .

وهذا التصديق يوضحه ابن رشد فى معرض حديثه عن مصادر العلم بالمعجزات والتى على أساسها يتم التميز بين المعجزات والإيمان بها فيقول فى كتابه مناهج الأدلة أيضاً : أما من حيث مصدر العلم بهذا الأصل الأول فهو إنذار الأنبياء بوجود الأشياء التى لم توجد بعد فتخرج إلى الوجود على الصفة التى أنذروا بها وفى الوقت الذى أنذروا وبما يأمرون من أفعال وينبهون عليه من العلوم التى ليست تشبه المعارف والأعمال التى تدرك فتعلم ، فالإنسان قد اختص بالمعرفة والإدراك فى القوة العقلية الفكرية التى بها يدرك حدوث الأمور النافعة والضارة فى المستقبل يستعد للشئ ويتأهب له ، ويبشر بوفود الخير ويعلم وقوعه إذا حدث بهذه القوة أى الآلة الشرعية والإدراك الروحانى ، ولذلك قيل إنه جرى كذا أو كذا من النبوة ومثاله رؤيا يوسف عليه السلام والسنين العجاف .

وهذا الأصل الاول – كما يقول ابن رشد – لا يفهم تماماً إلا بالتفرقة بين الخارق الذى من نفس وضع الشرائع والخارق الذى ليس من نفس وضعها ، وذلك أن الخارق للمعتاد (أى الخارق للعادة) إذا كان خارقاً فى المعرفة بوضع الشرائع ، دل على أن وضعها لم يكن بتعلم وإنما كان بوحى من الله وهو المسمى نبوة ، وأما الخارق الذى ليس من نفس الشرائع مثل انفلاق البحر وغير ذلك فلا يدل دلالة ضرورية على هذه الصفة المسماة نبوة وإنما تدل إذا اقتربت (أشارت) إلى الدلالة الأولى ، وأما إذا أتت مفردة (أى غير مرتبطة بالدعوة والرسالة) فلا تدل على ذلك .

فالأولياء مثلاً لا تدل أفعالهم على معجزات لأنها تأتى مفردات ، أما الخارق الذى يدل دلالة قطعية فليس موجوداً لهم لأنهم ليسوا بأنبياء أو أصحاب رسالات ليكون لهم معجزات ، وعلى هذا النحو يجب أن يفهم الأمر فى دلالة المعجز على النبوة ، وأما المعجز فى غير ذلك من الأفعال فشاهد لها أو مقر .(١)

---

(١) راجع هذا النص فى : الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد ص ٢١٦ وفى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد للدكتور عاطف العراقى ص ٣٥٣-٣٥٦.

معنى هذا أن حقيقة المعجزة عند ابن رشد فى كونها آية وبرهان ودليل على النبوة وليس كدليل على الصلاح أو القدرة كما فى الكرامات أو الخوارق وهذا معنى قوله بأن الشريعة هى الأصل الأول الدال على حقيقة المعجزة ، وأن المعجزة الحقيقية هى التى يؤيدها العقل ويقر بها ، وأن التمييز بين المعجزات والخوارق لا يكون إلا على أساس النبوة والشرائع التى يأتى بها الرسل ، لأن هذه الرسالة أو المعجزة هى الدلالة القطعية على النبوة .

ولكى يدلل ابن رشد على أن المعجزات ليست كلها من خوارق العادات ، وأن المعجزة الحقيقية هى الرسالة المحمدية المقنعة للعقل والمتوافقة مع الشرائع ومصالح البشر والغير متعارضة مع قوانين المنطق والعلية يعقد المقارنة بين معتقد العوام ومعتقد الخواص للمعجزة كشريعة وخارقة فيقول : " وإذا سأل سائل عن الدليل على كون القرآن خارقاً ومعجزاً من نوع الخارق الذى يدل دلالة قطعية على صفة النبوة أى الخارق الذى فى فعل النبوة الذى يدل عليها كما يدل الإبراء على صفة الطب الذى هو فعل الطب . أجيب عليه بالقول بأن ذلك يوقف عليه من وجوه : أحدها أن يعلم أن الشرائع التى تضمنتها من العلم والعمل ليست مما يمكن أن يكتسب بتعلم أو بوحى ، وثانيها : ما تضمن من الإعلام بالغيوب ، وثالثها : من نظمه الذى هو خارج عن النظم الذى يكون بفكر ورويّة ، أعنى أن يعلم أنه من غير جنس البلغاء المتكلمين بلسان العرب سواء من تكلم منهم بذلك من قبل المنشأ عليه وهم العرب الأول .

وهكذا كان بيان ابن رشد لحقيقة المعجزة خير دليل على افتراء الفقهاء الذين وجهوا له تهمة إنكار المعجزات ، لا لشئ إلا لأنه رفض الفهم الخاطئ الذى شاع بين الجمهور والذى يوحد بين المعجزات والخوارق وبين المعجزات والكرامات ، كما رفض أن تكون المعجزات كلها على درجة واحدة أو أن تكون حسية ، وأخضع مبحث المعجزات للبحث العقلى وبراهين المنطق ودلائل الحكمة والشريعة ، ولم يسلم بالشروط التى وضعها المفسرون والفقهاء لوقوع المعجزة والتصديق بها .

فكان لزاماً على ابن رشد أن يثبت بالحجة والدليل مدى تميز المعجزة عن الخارقة ومدى تقدم المعجزة العقلية كالقرآن الكريم على غيرها من المعجزات

والخوارق ، ومدى ارتباط المعجزة بالنبوة والرسالة ومدى موافقتها لقوانين العقل والعليّة . ويثبت أن مفهوم المعجزة لا تظهر حقيقته إلا فى إطار مفهوم النبوة .

ولا شك أن رأى ابن رشد فى المعجزة كان أكثر صراحة وموضوعية من آراء سلفة من الفلاسفة أو المتكلمين ومثال ذلك ما ذهب إليه الفارابى وأورده فى فصوص الحكم وما أورده الما تريدى فى التوحيد والنبوة . فقد صرح الفارابى أن المعجزة يجب أن تكون من الأمور الموافقة للعقل لاتصالها بعالم الخلق الأكبر وهى لا تخرق العادة ولا قانون الطبيعة، وتفسير ذلك عند الفارابى أن النبوة مختصة فى روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر فتأتى بالمعجزات ، وهذا الأمر وإن ظهر على أنه خارج عن الحيلة والعادات فهو لا يخرج على قوانين الطبيعة بل يتمشى معها ، فعالم الأفلاك هو مصدر هذه القوانين ، وما دامت القوة القدسية التى تختص بها روح النبى ﷺ تتصل بهذا العالم وترتبط بالعقل الفعال كان من الممكن ان تحصل أمور تبدو أنها على خلاف القوانين الطبيعية وما هى كذلك . (١)

وإذا كان رأى الفارابى يعضد رأى ابن رشد فى جانب موافقة المعجزة لقوانين الطبيعة فإن رأى الما تريدى يعضّد رأى ابن رشد فى جانب موافقة العقل بالمعجزة لأن العقل هو سبيل معرفة حجية الرسل وصدق الرسالات فالما تريدى يرى أن المعجزة هى آية صدق الأنبياء وهى تخرج على خلاف الأمر المعتاد بين الناس ، وأنها من فعل الله تعالى الذى يجريها على أيدى من أرسلهم .

ويؤكد الما تريدى أن دور العقل هام فى إدراك حقائق المعجزات لإن معرفة النبوات ليست إضطرارية بل إكتسابية ، والعقل هو سبيل حجة الرسل والتمييز بينها وبين تمويهات السحرة . (٢)

---

(١) الفارابى : فصوص الحكم – الثمرة المرضية ص ٧٢-٧٨ ، وفى الفارابى لسعيد زايد ط دار المعارف ١٩٦٢ . ص ٦٦-١٠٢ .

(٢) النبوة والأنبياء فى الفكر الإسلامى . د. على عبد الفتاح المغربى . مكتبة وهبة ط٢ ١٩٩٤ . ص ١٢٦-١٢٩ .

ثانياً : شروط المعجـزة عند ابن رشـد :

قبل استعراض الشروط التى حددها ابن رشد لوقوع المعجزة والتصديق بـها ، يمكن استعراض الشروط التى اتفق حولها الفقهاء ورجال الكلام وهى الشروط التى انتقدها ابن رشد ولم يوافق عليها وهذه الشروط هى :

١ - أن تكون المعجزة مما لا يقدر عليه البشر أى لا يقدر أحد من البشر الإتيان بمثلها .

٢ - أن تكون خارقة للعادة أى لما اعتاده الناس ، ومثالها المعجزة القولية كالقرآن الكريم والفعلية كنبع الماء وتحول العصا ثعباناً على يد موسى عليه السلام أو خروج ، الناقة من الصخرة زمن صالح عليه السلام أو تكون تركية مثل عجز النار عن إحراق إبراهيم عليه السلام .

٣ - أن تكون على يد مدّعى النبوة .

٤ - أن تكون مقرونة بدعوة الرسالة والنبوة .

٥ - أن تكون موافقة للدعوى ومؤيدة لدعوى الرسول وخرج بذلك المخالف لـها ، كما إذا قال : إن آية صدقى إنفلاق البحر فإنفلق الجبل .

٦ - أن تكون دالة على صدقه لا دالة على كذبه كمسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فكانت أفعاله دالة على كذبه فجف ماء البئر واعتورت العين التى أراد إصلاحها . فصارت دالة على كذبه ، ومثاله كذلك إذا قال آية صدقى نطق هذا الجماد فنطق أنه مفتر كذاب .

٧ - أن تتعذر معارضة النبى ﷺ ومعجزته وخرج بذلك السحر وأعمال الشعوذة .

٨ - أن تكون فى زمن التكليف أى زماننا الدنيوى .

٩ - ألا تكون فى زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها أو ما يقع من الدجال آخر الزمان كأمره للسماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت .[1]

---

(١) راجع ما أورده القرطبى فى تفسيره والسالمى فى المشارق ص ٢١٧-٢١٨ والشيخ أحمد بن حمد الخليلى فى جواهر التفسير ٤٥-٤٨ .

ولقد حاول الشهرستاني في كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام تحليل هذه الشروط مع التركيز على شروط ثلاث هي الإقتران أي إقتران المعجزة بدعوى الرسالة وأن تكون المعجزة ناقضة للعادة وأن تكون دالة على الصدق مع إضافته لبعض الشروط التي تشير إلى أهمية الجانب المعرفي أو الجانب الاعتقادي مثل شرط التمييز وعدم التكرار والإدراك والاعتراف .

ويمكن إجمال شروط المعجزة عند الشهرستاني في :

١ - **إقتران الدعوة بالمعجزة** : أي أن الفعل بإختصاصه ببعض الجايزات يدل على إرادة الفاعل فإذا فعله عقب دعوته مقترناً بدعواه وهو صادق في نفسه دل على قصده أي تصديقه وتخصيصه لرسالته . فهذا الاقتران محصور في اشتراط الصدق لأنه كما يقول الشهرستاني : لو قدر ظهور مثل تلك المعجزة على يد كاذب لم يجز أن تقترن بدعواه النبوة بل تصرف عنه .. حتى لا ينقلب الدليل شبهة .

٢ - **الاستجابة والتخصيص** : أي تخصيص النبي بالاستجابة لدعواه ، ويكون تحقق المعجزة استجابة لطلب النبي ودعوته دليل على نبوته وتصديقه . فمن علم أن له عند الله دعوة مستجابة فدعا واستجيب له علم ضرورة أن المجيب أراد تخصيصه بتلك الإجابة كرامة له وإنعاماً عليه . فالله تعالى يقول : وربك يخلق ما يشاء ويختار . [١] ويقول تعالى : وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمر أن يكونا لهم الخيرة من أمرهم . [٢]

٣ - **التميز وعدم التكرار** : أي أن المعجزة لكي تكون كذلك لا يجب استمرارها أو تكرارها لأنه إذا استمرت خرجت عن الإعجاز والتحقت بالمعتاد .

٤ - **نقض العادة** : أي أن تكون المعجزة خارقة ناقضة للعادة ، لأن الصعود إلى السماء والمشي على الماء وإحياء الموتى وقلب العصا حية وأمثال ذلك نقض لعادة البشر ، فإذا اقترنت بتحدي الرسالة أو تصديق قول ما كانت آية وحجة على البشر وإن لم تكن نقضاً لعادة الملائكة والجن .

---

(١) القصص : ٦٨ .

(٢) الأحزاب : ٣٦ .

٥ - **الإدراك** : وهو كشرط ضرورى عند الشهرستانى يشير إلى أن المعجزة فى حقيقتها يجب أن تكون ذات دلالة عقلية وهو اختصاصها بتحدى المدعى ، وأن تكون ذات دلالة من حيث القرينة ، ومن ثم فالإدراك الحقيقى لا يجعل للإنكار مكان ويزود الفرد بالخبرة والثقة والمعرفة . فالمعجزة إذا ظهرت لأهل الخبرة وحصل لهم العلم بذلك وهم جم غفير فأحرى أن لا يبقى شك لأهل الصناعات الأخرى .

٦ - **أن تكون المعجزة للهدى لا للضلال** : فإذا علم الرب أنه يرسل رسولاً يهتدى به قوم فهو كما يعلم أن ينصب دليلاً يستدل به قوم فلو أضلهم بعين ذلك الدليل وقع الأمر على خلاف المعلوم وذلك محال ، وكذلك إذا أخبر أنه يرسل رسولاً يهتدى به ثم أضل كل من بعث إليه تناقض الخبر وانقلب الصدق كذباً وذلك محال ، فإن الكذب لا يجوز على الله تعالى ، لأن الكذب إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو يعلمه على ما هو به ، وكل من علم شيئاً كان له خبر عن معلومه والخبر من المعلوم خبر عن ما هو به فلا يجتمع فى العالم خبران متناقضان . وعلى ذلك . فإن إرسال رسول وإخلاؤه عن دليل الصدق وإظهار معجزة والقصد بها اضلال الخلق ، وإظهار خارق للعادة على يدى كاذب فى معارضة دعوى النبى ﷺ كل ذلك محال .

٧ - **الصدق** : أى تكون المعجزة دالة على صدق النبى ﷺ لا مكذبة له ، وأن يكون هذا الصدق حاصل من المشاهدة والعلم والمعرفة ، ودال على صدق المدعى ، فيقال هذا المتحدى إما أن يكون صادقاً وإما أن يكون كاذباً ، وبطل أن يكون كاذباً لحصول الخارق للعادة على يديه وعلى وفق دعواه من غير أن يعارضه معارض ، واقتران هذه المعانى معاً يستعتب (يعقبه وينتج عنه) علماً ضرورياً بصدقه ... والنبى ﷺ أولاً يصبح صدقه باستماع دعوته والنظر فى معجزته ، ولا يتصور نبى قط إلا وأن تكون آية الصدق معه ، لأن حقيقة النبوة هى صدق القول مع ثبوت الآية .

ويستطرد الشهرستانى فى بيان أهمية الصدق أى صدق النبى ﷺ كشرط لوقوع المعجزة والحكم عليها والتصديق بها فيقول : وقد تكون الآيات عامة تدل

على صدق قوله فى جميع أقواله وأحواله ، وقد تكون من جنس الأقوال كآية مثـــل آية الكتاب ، وقد تكون من جنس الأفعال كآيات الإحيـــاء وقلـب العصـــا حيـــة ، والجماد ، وبالجملة فإن دلالة الصدق لا تنفك عن حاله ومقاله طرفة عين وذلك هـو المعنى بالعصمة الواجبة للأنبياء لأن العصمة لو ارتفعت بطلت الدلالة وتنـــاقضت الدعوة خصوصاً فيما أرسلوا به إليهم وكلف الناس تصديقه فى أقواله وقت بعثه فـى أفعاله (١)

وبعد عرض شروط المعجزة التى اتفق حولها الفقهاء وتلك الشروط التى حددها الشهرستانى يمكن تحديد الشروط التى وضعها ابن رشد وبيان مدى مخالفتها للشروط السابقة .

أما شروط المعجزة عند ابن رشد فهى :

١ - **الصحة والتصديق** : أى أن تكون المعجزة شاهدة على صحة النبوة وأن يكـون التصديق بالنبوة قبل المعجزة لا بعدها .

ويبرهن ابن رشد على صحة هذا الشرط بالرسالة المحمدية وأن النبى ﷺ لـــم يقدم للقوم معجزات خارقة كخوارق العادات الحسية ليؤمنوا به أو يصدقوه ، ويدلـل ابن رشد على أهمية هذا الشرط ويقول : ليس يصح تصديقنا للذى ادعـــى الرســالة عن الملك إلا متى علمنا أن تلك العــلامة التى ظهرت عليه هى علامـــة الرسـل للملك ، ولقائل أن يقول من أين يظهر أن ظهور المعجزات على أيدى بعض النــاس هى العلامات الخاصة بالرسل ، فإنه لا يخلو أن يدرك ذلك بالشـــرع أو بـــالعقل ، ومحال أن يدرك هذا بالشرع لأن الشرع لم يثبت بعد ، أى وقت ادعـــاء الرســالة والنبوة ، والعقل أيضاً ليس ممكنه أن يحكم أن هذه العلامة هى خاصة بالرســل إلا أن يكون قد أدرك وجودها مرات كثيرة للقوم الذين يعترف برسالتهم ولم تظهر هـذه المعجزات على أيدى سواهم .. ، وهذا يعنى أن ثبـــوت الرســالة يتوقـف علـى عنصرين هما النبوة والمعجزة ثم وجوب التصديق بالنبوة قبل الرسالة أى المعجـــزة

---

(١) عبد الكريم الشهرستانى - نهاية الإقدام فى علم الكلام ص ٤٣٤ - ٤٤٥ .

. ويبرهن ابن رشد على أهمية صحة الرسالة والتصديق بالنبوة فيقول : إن ثبوت الرسالة يبنى على مقدمتين : إحداهما : أن هذا المدعى الرسالة ظهرت على يديه المعجزة ، والثانية : إن كل من ظهرت على يديه معجزة فهو نبى ، فيتولد من ذلك بالضرورة أن هذا نبي، فأما المقدمة القائلة إن هذا المدعى الرسالة ظهرت عليه معجزة فلنا أن نقول إن هذه المقدمة تؤخذ من الحس بعد أن نسلم أن ها هنا أفعالاً تظهر على أيدى المخلوقين تقطع قطعاً إنها ليست تستفاد لا بصناعة غريبة من الصانع ولا بخاصة من الخواص وأن ما يظهر من ذلك ليس تخيلاً وليس من أمور السحر أو الشعوذات .

- وأما المقدمة القائلة : إن كل من ظهرت على يديه المعجزة فهو رسول ويجب أن نصدقه ، فإنما تصح بعد الإعتراف بوجود الرسل ، وبعد الإعتراف بأنها لم تظهر قط إلا على من صحت رسالته .

فلنا أن نقول : إن هذه المقدمة لا تصح إلا ممن يعترف بوجود الرسالة ووجود المعجزة ، لأن هذا طبيعة القول الخبري .(١)

وعند تأمل رأى ابن رشد فى مفهوم الصدق ودلالته كشرط لصحة المعجزة تظهر حقيقة الخلاف بين ابن رشد ومن سبقه من المتكلمين ، لأن المتكلمين رأوا أن المعجزات دالة بنفسها على صدقها وصدق من جرت على يديه ، وأن العقل لا ينكر المعجزات رغم كونها خوارق للعادات لان الخبر والتواتر والحس يؤكدونها اما ابن رشد فيعارض ذلك ويرى أن قوة الفعل العجيب الخارق للعوائد الذى يرى الجميع انه إلهى لا يدل على وجود الرسالة دلالة قاطعة إلا من جهة ما يعتقد أن من ظهرت على يديه أمثال هذه الأشياء فهو فاضل والفاضل لا يكذب ، بل إنما يدل على أن هذا رسول إذا سلم أن الرسالة أمر موجود وأنه ليس يظهر هذا الخارق على يد أحد من الفاضلين إلا على يد رسول ، ولهذا كان شرط المعجزة الصحة والتصديق أى الأيمان بالله والرسول قبل التصديق بالمعجزات وخوارق العادات لأن المعجزات وخاصة الحسية لا تدل على النبوة ، وهذا معنى قول ابن رشد أن

---

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة : تحقيق د. محمود قاسم ص ٢١٦ ، ٢٢٦ .

المعجز لا يدل على الرسالة لأن العقل لا يدرك الإرتباط والتلازم بين المعجز والرسالة إلا إذا كان هناك اعتراف وتصديق بأن المعجزة فعل من أفعال الرسالة كالإبراء الذى هو فعل من أفعال الطب فإنه من ظهر منه فعل الإبراء دل على وجود الطب وأن ذلك طبيب .[1]

ورغم هذا الاختلاف بين المتكلمين وابن رشد حول أسبقية التصديق ودلالته فإن الإجماع والاتفاق قائم على أن المعجزات سواء حسية أو عقلية هى أفعال وآيات إلهية دالة على صحة النبوة ، وأن التصديق بالنبوات والرسالات والمعجزات واجب شرعى لأنه " أى التصديق " إيمان بالله والكتب والرسل ، وتصديق بالقدرة الإلهية المطلقة كذلك .

وقد صور الماوردى فى أعلام النبوة إجماع رجال الفقه والكلام على أن المعجزات أفعال إلهية تدل على اصطفاء الله للأنبياء والرسل وإنها شاهدة على صحة النبوة ، لأن الله تعالى قدر لعباده أفعالاً كما قدر لهم أجساماً وآجالاً ، وانتهى إلى غاية أعجزهم عن تجاوزها وخرج عن عرفها من أفعال الله تعالى دونهم فكان بها ممتازاً وإليه تعالى منحازاً فيخص بطاعة إلهية كما اختص بأفعال لا هوتية ، فلذلك صارت الأفعال المعجزة شاهدة على صحة النبوة .[2]

والغريب أنه رغم هذا الإجماع على ضرورة صحة الرسالة ونسبة المعجزة إلى النبى ﷺ ظهرت بعض الفرق التى أنكرت المعجزات والنبوات كالسمنية والمانوية والزرادشتية والبراهمة والصابئة والراوندية والمجوسية وغيرها وهى الفرق التى تصدى لها علماء الكلام .[3]

٢ - **الاتصال** : أى أن تكون المعجزة متصلة بالنبوة والرسالة فالنبوة عند ابن رشد ضرب من الاتصال بين النبى والله . وهذا الاتصال هو الذى يجعل من الممكن حدوث المعجزة وكذلك تصديقها .

---

(١) عباس محمود العقاد : ابن رشد ص ٦٦-٧٠ ، د/ عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ٣٥٠/٣٥٩ .

(٢) د/ على عبد الفتاح المغربى : النبوة والأنبياء ص ١٣٥-١٣٨ .

(٣) سبق التعريف بهذه الفرق والجماعات .

والاتصال عند ابن رشد كشرط لحدوث المعجزة والتصديق بها له عدة معـــان منها التواصل والكمال والوحدة والتعقل والترابط والشمول .

فالإتصال الذى هو نوع من الكمال الروحى لا يتم إلا بقيام صلة ما بين العبـــد وربه ، ولولا هذه الصلة لما حدثت المعجزة . وهذا الاتصال هو نوع من التعقـــل ، أى السعى لإدراك الموجودات بأسبابها ، ويقوم بهذا الإتصال العقل الهيولانى القـادر على إدراك الصور بوصفه العقل المتوسط بين النفس الإنسانية والعقل الفعـــال ، إذ عن طريق هذا الاتصال يتلقى الإنســـان المعـــانى المجـــردة والصـــور المفارقـــة كالمعارف اللدنية أو وحى النبوة .

ويعلل ابن رشد أهمية هذا الاتصال أو التعقل بوصفة الوســـيلة الفعالـــة لنقـــل المدركات والمعارف ، لأن العقل المفارق المجرد لا يفعل فى المادة ولا ينفعل بـــها لأنه عقل عام وغير منقسم ، أما المعقولات فهى تختلف وتتميز من شـــخص إلـــى شخص حسب قدراته الإدراكية الخاصة ، وأن الإدراك يبدأ بعملية التخيل أى تخيـــل أفراد الكليات بتخيل صورها المحسوسة ورغم أهمية الإدراك والاتصال فى عمليـــة التصديق بالمعجزة ، يؤكد ابن رشد على أن هذا التفسير العلمى لعمليـــة الاتصـــال خاص بالفلاسفة ولا يجب إذاعته بين الجمهور .

والاتصال عند ابن رشد يعنى الوحدة والتعقل ويعنى تواصل الخـــبر والعقـــل فالخبر المتواتر هو المشاهد الذى يرويه قوم لا يحصى عددهم ولا يتوهم تواطؤهـــم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وصدقهم وتباين أماكنهم ، ومع هذا فالخبر وحـــده لا يكفى للتصديق بالمعجزات والتأكد من صحة محتوى الرسالة وجوهرها لأن الرسالة هى الآية وهى المعجزة الحقيقية وليس ما يرى من خوارق وهذا ما يؤكده ابن رشـــد ويوافقه الماوردى وبعض المتكلمين عليه والذى يقول : ولما كـــان طريـــق العلـــم بالمعجزات هو الخبر والعقل فإن العقل هو الذى يتوقف عليه صحة الخبر وصدقه ، وليس مجرد نقل الرواة ومشاهد اتهم الحسية ، وإن الأخبار التى تأتى عـــن طريـــق الرسل يلزم قبولها بضرورة العقل ، إذ لا خبر أصدق من خبرهم لأنه يـــأتى مـــن وحى السماء ومن الآيات الواضحة الدالة على صدقه . (١)

---

(١) الماوردى : أعلام النبوة ص ٩٩/٣٧/٣٦ ،، د/ على عبد الفتاح المغربى . النبوة والأنبيـــاء ص ١٣٨/١٣٥ .

والاتصال عند ابن رشد يعنى أيضاً الترابط والشمول ، ويعنى وحدة الحقيقة وترابط الحكمة والشريعة وشمول المعجزات للجانب الحسى والعقلى ، ذلك لأن المعجز الحسى وحده لا يكفى ولأن المعجزة كآية لابد أن تشمل الرسالة والوحى والتكاليف والأخبار والحقائق والمعارف وأن تكون منهجاً لصلاح الإنسان وتقويمه وليس مجرد عملية مشاهدة لمعجز حسى كقلب العصا حية أو انفلاق البحر ، أو مجرد إنقاذ للنبى أو الرسول من أعدائه .

والاتصال كذلك يجب أن يؤكد الوحدة وترابط الحكمة والشريعة وعدم الفصل بينهما ، فالحكمة والشريعة عند ابن رشد حقيقتان فى حقيقة واحدة ، إذ الحكمة صاحبة الشريعة واختها الرضيعة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة ، ليس هذا فقط بل إن حقائق الشرع والعلم والحكمة تضمهم الحقيقة الواحدة التى تختلف فى العبارة واللفظ ولا تختلف فى المعنى والجوهر . (١)

٣ - **الإتقان** : كشرط من شروط المعجزة يعنى النظام والاتساق الضرورى المحكم الذى يؤكد الإعجاز وقدرة الخالق ، والتصديق بالمعجزة وقبولها . والإتقان عند ابن رشد هو الذى يؤكد الحكمة من المعجزة . كما يؤكد العلاقة الضرورية بين الأسباب ومسبباتها ، وهذا الإتقان الذى نراه فى ظواهر وآيات الكون العام وراء نفى ابن رشد لجواز خرق العادات ، لأن فى خرق العادات اختلال النظام والإتقان الذى عليه الكون وما فيه من حكمة ، ومن ثم فإن الإتقان يؤكد الضرورة والحتمية ووجوبها ويتنافى فى الوقت نفسه مع القول بالجواز والإمكان الذى يقول به علماء الكلام ويقول به الأشعرية والغزالى والذين يؤكدون أن المعجزات هى خوارق العادات .

---

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٢١٣ / ٢١٥ .
وابن رشد : العقاد ٣٢/٤٥ - ابن رشد ماجد فخرى ص ١٠٨ .
وابن رشد : خليل شرف الدين ص ١٢٥/١٢٨ .

ولم يقتصر ابن رشد على أدلة العقل لإثبات الإتقان والضرورة والحتمية ، بل لجأ إلى البراهين النقلية وتفسيرها والتي تؤكد الوحدة والاتساق والترابط والإتقان مثل قوله تعالى : صنع الله الذى أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون . [١] وقوله تعالى : ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور [٢] وغيرها من الآيات التي يعلق ابن رشد عليها بقوله: من الضرورى أن يكون الكون كله على الترتيب والنظام الذى لا يمكن أن يوجد أتقن منه ولا أتم منه ، فالإمتزاجات الموجودة فى الموجودات محدودة مقدرة والموجودات الحادثة عنها واجبة ويوجد ذلك دوماً ولا يختل . [٣]

من أجل ذلك كان الإتقان شرطاً ضرورياً للتصديق بالمعجزات التى تتوافق مع السببية والضرورة والحتمية لأن الإتقان هو دليل الحكمة والقدرة الإلهية والعلم والعناية .

وتفسير ابن رشد لأدلة النقل على الإتقان دال على ذلك فهو يقول : أى تفاوت أعظم من أن تكون الأشياء كلها يمكن أن توجد على صفة أخرى فوجدت على هذه الصفة ولعل تلك الصفة المعدومة أفضل من الموجودة ، فمن زعم مثلاً أن الحركة الشرقية لو كانت غربية والغربية شرقية لم يكن فى ذلك فرق فى صنعة العالم فقد أبطل الحكمة [٤]

ولا شك أن هذا الشرط وتحليل ابن رشد له يبطل الاتهام الذى وجهه إليه فقهاء عصره بأنه ينكر المعجزات ، على اعتبار أن القول بالإتقان والضرورة والحتمية معارض للقول بالإمكان فى وقوع المعجزات بوصفها خوارق للعادات وخرق للضرورة والسببية .

---

(١) النمل : ٨٨ .

(٢) الملك : ٣ .

(٣) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٢٠٢ .

(٤) د/ عاطف العراقى : تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية . ص ١١٤-١١٥ وفى مناهج الأدلة لابن رشد ص ٢٠٢ .

٤ - **التوافق** : وهذا الشرط معناه ضرورة أن تكون المعجزة متوافقة مع ما جاء به الشرع ومع ما يقره العقل ، مع الإعتقاد الجازم بأن إرادة الخالق لا يعجزها أمر من الأمور .

وهذا يعنى انه من الضرورى أن تكون المعجزة متوافقة مع قوانين العقل والمنطق وليست خرقا لها ، ومن الضرورى أيضاً أن تكون المعجزة متوافقة مع ما جاء به الشرع ومع ما يدعو إليه الرسول صاحب المعجزة ومؤيدة له فى نفس الوقت .

من هنا كان شرط التوافق موضحاً لحقيقة المعجزة وحكم الاعتقاد بها ومدى الإرتباط بين التصديق بالمعجزات والإيمان بالرسل والرسالات وتصديقها . وتفسير ذلك عند ابن رشد أن الشريعة أوجبت النظر العقلى المؤدى إلى المعرفة بالله والكون وجميع الحقائق ، وأن النظر العقلى لا يؤدى إلى ما يخالف الشرع ، وأن المعجزات إذا كانت واجبة وليست ممكنة فهى لا تحتاج إلى أدلة وبراهين ، أما إذا كانت ممكنة أو جائزة فهى تعرف معرفة تقريبية ومن ثم فهى بحاجة إلى أدلة وبراهين . (١) .

وهذا الوجوب العقلى والشرعى عند ابن رشد هو الذى يؤكد شرط التوافق كما يؤكد أن تكون المعجزة متوافقة مع العادة وليس خارقة لها .

ومن الملاحظ أن هذا الشرط كان موضع الخلاف بين ابن رشد ومن سبقه من المتكلمين وخاصة الأشعرية والغزالى ، وفى نفس الوقت كان عاملاً من عوامل التقارب فى الرأى بين المتكلمين المؤيدين للعقل كالباقلانى والما تريدى وغيره مع إتفاقهم حول حقيقة المعجزة وكيفية التصديق بها ، ومثال ذلك ، أن ابن تيمية مثلاً فى كتاب النبوات يتوافق مع ابن رشد فى كون المعجزة آية وبرهان ودليل فى ذاتها وإنها تعرف بالضرورة والاستدلال ، وأن المعجزات هى الآيات الشاهدة على صدق الأنبياء ورسالاتهم ، ومع هذا فإن ابن تيمية يشترط أن تكون المعجزة خارقة للعادة وغير متوافقة مع قوانين الضرورة والحتمية .

---

(١) خليل شرف الدين : ابن رشد ص ٨٤-٨٦ .

أما الباقلانى فيشترط أن تكون المعجزة خاصة بدار التكليف لأن ما يظهره الله تعالى فى الآخرة من الأمور الخارجة عن العادة ليس بمعجزة .

أما الما تريدى فيشترط التمييز بين المعجزات وغيرها من خوارق العادات كالسحر والكرامات ، ويرى أن المعجزة هى آية صدق الأنبياء وهى تخرج على خلاف الأمر المعتاد بين الناس ويجريها الله على أيدى من أرسلهم وهى من فعل الله تعالى .

ومع هذا يؤكد الما تريدى على أن دور العقل هام فى إدراك حقائق المعجزات لأن معرفة النبوات ليست اضطرارية بل اكتسابية والعقل هو سبيل معرفة حجة الرسل والتمييز بينها وبين تمويهات السحرة . (١)

وعند المقارنة بين شروط المعجزة التى وضعها ابن رشد والشروط التى وضعها سلفه من الفلاسفة أو من المتكلمين ندرك مدى أهمية وعبقرية ابن رشد وصدقه ومنهجيته فى بيان دور العقل وأهمية البرهان حتى فى مجال المعجزات وخوارق العادات .

فقد اتفق المتكلمون على الشروط العامة الى يجب توافرها فى المعجزة والتى تميزها عن غيرها من خوارق العادت وهى :

١ – أن يكون فاعل المعجزات هو الله تعالى ، لأنه لا مؤثر ولا موجد ولا مكون إلا الله ، وأنه مادام فاعلها هو الله فيجب أن تكون واحدة ومتميزة ولا تتكرر ولا مثيل لها ومما لا يقدر عليه البشر ، ولا يستطيع بشر الإتيان بمثلها ولو استعان بسحر أو جان ، لأن كل ما هو فى مقدور البشر لا يسمى معجزة ، وبالتالى فإن المعجزة الخارقة للعادة هى الدليل على صدق الرسول وأنها ليست من عنده .

٢ – أن تكون المعجزة خارقة للعادة ، أى مخالفة لعادات البشر ومعلوماتهم ومشاهداتهم ، ومن ثم وجب أن تكون المعجزة متميزة وغير مألوفة وغير متوافقة مع قوانينهم أو قوانين الطبيعة المعروفة .

---

(١) د/ على عبد الفتاح المغربى : النبوة والأنبياء فى الفكر الإسلامى ص ١٢٦/١٢٩ .

ومثال ذلك عندهم أنه إذا إدعى صاحب المعجزة أن آيـــة صدقــة أن تطلــع الشمس من المشرق وتغرب فى المغرب فلا تكون هذه معجزة ولا دليـــــلاً علـــى صدقه ، لأن ذلك معتاد ومألوف وليس من إعجازه أو صناعته ولأن المعجزة فـــى حقيقتها شئ لم تجريه العادة .

٣ – أن تكون الدعوة مصاحبة ومقترنة بالدعوة والرسالة وصاحبها ، وخاصة بـــه وحده وبدعوته ، لأنه إذا ظهر الأمر الخارق للعادة على يد رجل آخر غيره لم يدع إلى رسالة أو يدعى نبوة فقد يكون الأمر كرامة له أو مجرد علامة علـــى صلاحه وتقواه وقربه من الله ، وإن كان هذا الرجل من عامة الناس فمعونة لـــه لإنقاذه من موقف ما ولا تسمى عندئذ بمعجزة .

٤ – أن تكون المعجزة دليلاً على صدقه وليست دليلاً علـــى كذبــه ، لأن شــرط تصديق الدعوة أو المعجزة أن تكون المعجزة مؤيدة لدعوة النبي ودالـــة علـــى صدقه لا مكذبة له ومثال ذلك عندهم ما روى عن مسيلمة الكذاب حيـــن ادعـــى النبوة وحاول تقليد النبى محمداً ﷺ فحاول شفاء عين أحد المرضى فتفل فى عينـه فاعورت وفسدت فأدرك الناس بالفعل أن مسيلمة ليس بنبى وأطلقوا عليه اسم النبى الكاذب أو مسيلمة الكذاب .

٥ – أن تكون المعجزة من المستحيل الذى لا يتكرر أو يمكن تقليده ومن ثم وجـــب أن تكون المعجزة مقرونة بالتحدى ليعجز البشر فرادى أو جماعات عن معارضتها أو الإتيان بمثلها ، ولهذا كانت المعجزة واجبة التصديق لأنها الدليل الأكيد على صدق النبى وأن مرسله هو الحق سبحانه ، وأن من المستحيل أن يأتى بمثلها بشر .

ودليل ذلك عندهم آيات الكتاب ودعوة النبى للعرب أن يأتوا بمثله أو أجزاء منـه أو بما يشابهه فعجزوا عن ذلك ، ونزل فى هذا قوله تعالى " فليأتوا بحديث مثله إن كـــانوا صادقين " . (١) : " وقوله تعالى : " فأتوا بعشر سور مثلــه مفتريــات " . (٢) وقولــه تعالى : " قل فأتوا بسورة مثله وأدعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين(٣) .

---

(١) الطور : ٣٤ .

(٢) هود : ١٣.

(٣) يونس ٣٨ .

٦ - أن تكون المعجـزة مناسبة لظروف الزمان والمكان والعصر وصـاحب الدعـوة أيضاً ، وهذا يعنى ضرورة أن تكون المعجزة من جنس مـا بـرع فيـه القـوم ويحسنونه لكى يكون التحدى قوياً ومؤثراً ويكون خرق المعجزة للعادات أقوى فـى الدلالة على صدق النبى ودعوته ومثال ذلك عندهم ان معجزة ابراهيم عليه السـلام جاءت فى قوم يعبدون النار ويقدسونها ويقدرون قدرتها على الإحـراق ، فتـأتى معجزة إبراهيم فى عجز النار على إحراقه .

وكذلك معجزة موسى عليه السلام جاءت فى عصر تقدم السحر وتأتى المعجزة فى عجز السحر واثبات عجز السحرة وإبطال سحرهم .

وكذلك معجزة عيسى عليه السلام جاءت فى عصر تقدم الطب وعلاج الأمراض ، فتأتى معجزته من نفس علمهم واهتمامهم فتفوقهم قوة لا مثيل لها فيشفى عيسى أمراضـاً لا تشفى بل ويحي أمامهم الموتى بإذن الله . وكذلك معجزة محمدﷺ تأتى فى عصر تقدم اللغة والفصاحة والبيان لتثبت عجز العرب وعدم قدرتهم فى أن يأتوا بمثل القرآن وليقفوا حائرين صاغرين أمام إعجاز القرآن البلاغى والعلمى فى ضبطه ونظمـه وبيانـه وشموله للعلوم والحكم والمعجزات .(١)

---

(١) راجع تفاصيل المعجزات وشروطها فى كتب النبوة والعقائد وعلم الكلام منها الباقلانى فـى إعجاز القرآن ، والبيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والخليلى فى جواهـر التفسـير ج١ ص ٤٥-٤٨ . و عبد الرحمن الميدانى فى العقيدة الإسـلامية وأسسـها ص ٣٣٩ . والسالمى فى مشارق أنوار العقول ج٢ ص ١١-١٢ . و جعفر السبحانى فى مفاهيم القرآن ج٤ دار الأضواء بيروت ص ٩٥-١٥٣ .

ثالثاً : المعجز الحسى والمعجز العقلى عند ابن رشد :

كان تمييز ابن رشد بين المعجز الحسى والمعجز العقلى وتقديم العقلى على الحسى سبباً فى العديد من التساؤلات والشكوك التى أثارها الفقهاء وعلماء الكلام فى عصره ، حتى أنهم وجهوا إليه تهمة الكفر والإلحاد على أساس أنه ينكر المعجزات .

وهذا يفسر القول بأن نكبة ابن رشد وإحراق كتبه الفلسفية واتهامه بالكفر يرجع إلى موقفه من مسألة المعجزات ورده على الأشعرية والغزالى فى هذه المسألة وتقديمه للمعجز العقلى على المعجز الحسى .

والمعجز الحسى على العموم هو جملة الأفعال التى أجراها الله على يد من اصطفى من أنبيائه لتكون دليلاً على نبوتهم وانقاذاً لهم من أعدائهم ، وهى أمور تفوق قدرة البشر وتخرج عن المعهود والمألوف ، وحين يشاهدها الخلق يتعجبون ولا يملكون سوى التصديق بها والإيمان بحكمة الإله وقدرته ، ومثالها إنقاذ إبراهيم ﵇ من الإحراق ، وفلق البحر وقلب العصا حية لموسى وإنقاذه من فرعون ، وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى لعيسى ﵇ وإنقاذه من شرور قومه .

والمعجز الحسى عند ابن رشد بهذا الوصف هو مجرد علامة خارجية أو حدث مرئى قد يؤكد وجود الرسالة أو أن صاحب المعجزة هو النبى المرسل إليهم إلا أنه ليس دليلاً كافياً على صحة رسالته أو التصديق بها ، وقد يرى عامة الناس فى المعجزة دليلاً إلا أن الدليل الوحيد الذى يثبت صدق رسالة من الرسالات هو الشرائع والأحكام التى تتضمنها تلك الرسالات والحقائق التى تكشفها للناس وما يكون فيها من صلاح وخير لهم .

وعلى ذلك فالمعجزة يجب أن تكون هى الشريعة نفسها ، وليس ما يظهر من خوارق ، ومثال المعجزة العقلية هو الشريعة التى صدع بها النبى محمد ﷺ ، ولأن النظر العقلى أمر واجب بالشرع ، وبراهين العقل يجب أن تتوافق مع روح الشرع وتستمد فى أكثرها من آيات القرآن بعد تأويلها التأويل العقلى السليم ، من أجل ذلك كان المعجز العقلى أهم من المعجز الحسى ومتقدم عليه .

وهذا هو ما ذهب إليه ابن رشد وسبقه إليه رجال الاعتزال والأشاعرة وقد حاول ابن رشد تبرير تميز المعجزة المحمدية عن باقى المعجزات وذلك بإثبات تميز المعجز العقلى الجوانى عن المعجز الحسى البرانى فقال : إن دلالة القرآن على نبوة الرسول ﷺ ليست هى مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى ، ولا إحياء الموتى وإبراء الأكمه الأبرص على نبوّة عيسى ، فإن تلك وإن كانت أفعالاً لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء وهى مقنعة عند الجمهور فليست تدل دلالة قطعية إذا انفردت ، أما القرآن فدلالته على هذه الصفة هى مثل دلالة الإبراء على الطب ، فالنوع الأول هو هذا النوع من المعجزات التى تدل دلالة قطعية يقينية على وجود الرسل وشريعتهم ، وقد استمدت صفة القطع واليقين من كونها مناسبة للصفة التى من أجلها وصف إنسان ما بأنه رسول أو نبى .

أما النوع الثانى من المعجزات ويقصد به المعجز الحسي: فلا يعد يقيناً كالنوع الأول لأنه لا يدل على الصفة التى من أجلها وصف النبى أو الرسول بانه كذلك ، فلابد أن تدل الصفة تماماً على الموصوف ، فلفظ الرسول يجب أن يكون مطابقاً للصفات الواجب توافرها فى الرسول شأنه فى ذلك شأن لفظ الطبيب ، ومثال ذلك : لو أن شخصين ادعيا الطب فقال أحدهما : الدليل على أنى طبيب أنى أسير على الماء ، وقال الآخر : الدليل على أنى طبيب أنى أبرئ المرضى ، فمشى ذلك على الماء ، وأبرأ هذا المرض لكان تصديقنا بوجود الطبيب للذى أبرأ المرض ببرهان وتصديقنا بوجود الطب للذى مشى على الماء مقنعاً من طريق الأولى والأحرى ، ووجه الظن للذى يعرض على الجمهور ذلك أن من قدر على المشى على الماء الذى ليس من وضع البشر فهو أولى أن يقدر على الإبراء الذى هو من صنع البشر . (١)

وابن رشد يطلق على النوع الأول من المعجزات المعجز الجوانى أى العقلى ، ويطلق على النوع الثانى من المعجزات المعجز البرانى أى الحسى ، مشيراً إلى أن الثانى لا يدل على حقيقة النبوة أو الرسالة بقدر دلالته على القدرة الإلهية المطلقة ،

---

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٣٢١ . وفى النزعة العقلية لأبن رشد : د/ عاطف العراقى ص ٣٥٨ .

فى حين أن المعجز العقلى بوصفه الرسالة هو الدال على النبوة ويستحق اسم المعجزة والتقديم .

ومن الملاحظ أن هذا الرأى الذى ذهب إليه ابن رشد له من يؤيده سواء من المتكلمين القدامى أمثال الرازى والباقلانى ومن المفكرين المعاصرين أمثال الإمام محمد عبده والدكتور عاطف العراقى والدكتور على المغربى وغيرهم . فالفخر الرازى فى النبوات يؤكد على أن القرآن هو المعجز الأكمل والأتم بالنسبة للنبى ﷺ وأنها تفوق فى قوتها ودلالتها أى نوع آخر من المعجزات الخارقة للطبيعة ودليل ذلك عنده أن القرآن ينتقل بالإنسان من مرحلة الإيمان عن طريق المعجزة الحسية وحدها الخارقة للطبيعة التى تبهر الأنظار إلى طريق الإيمان القائم على التفكير والعلم والبرهان وأن الدليل على الصدق هو اتساق القانون الطبيعى لا أن يكون خرق ذلك القانون ، والانتقال بالإنسان من بناء إيمانه على المعجزات الحسية إلى بنائه على المعجزات العقلية وأن القرآن يدلنا : أنه لو كانت المعجزات الخارقة للعادة كافية ومقنعة لما كذب بها الأولون بعد أن ألحوا فى طلبها وأجيبوا إليها (١) وهذا نفس ما ذهب إليه ابن رشد . ونفس الموقف يؤيده الباقلانى فى إعجاز القرآن عندما يقدم القرآن كمعجزة على باقى المعجزات ، ويرجع سبب ذلك إلى ما يتصف به القرآن من صفات العمومية والثبات والاستمرار والبقاء ويقول : فهو وإن كان قد تأيد بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت فى أوقات خاصة وأحوال خاصة ونقل بعضها نقلاً متواتراً يقع به العلم وجوداً وبعضها مما نقل نقلاً خاصاً ، إلا أنه نقل عن الجمع العظيم وأنهم شاهدوه ، فلو كان الأمر على خلاف ما حكى لأنكروه ، أى أن دليل بعض تلك المعجزات التواتر والبعض الآخر هو الأحاد ، فأما دلالة القرآن فهى عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها فى أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الاول عن الإيتان بمثله وجه دلالته فيغنى ذلك عن نظر محدد فى عجز أهل هذا العصر عن الإيتان بمثله عن النظر فى حال العصر الأول . (٢)

---

(١) الفخر الرازى : النبوات وما يتعلق بها ص ٧٩،١٦٨،١٧٧ ، د/ على عبد الفتاح المغربى : النبوة والأنبياء ص ١٣٩-١٤٢ .

(٢) الباقلانى : إعجاز القرآن ص ٨ ، والنبوة والأنبياء د. المغربى ص ١٤٨/١٤٩ .

ومن المعاصرين يأتى الإمام محمد عبده والدكتور عاطف العراقى فى مقدمة المؤيدين لهذا الرأى الذى ذهب إليه ابن رشد من أن المعجزة هى الرسالة والوحى وهى الدليل الأكيد على النبوة وصدق الرسالة ، وبوصفها الأمر الخارق الذى تحدى به النبى قومه ليؤمنوا به ويصدقوه ، وعلى ذلك وجب تقديم المعجز العقلى على المعجز الحسى ، ويؤكد هذا الدكتور عاطف العراقى فيقول : إن ابن رشد قد فهم المعجزة فهماً لا يتنافى ونزعته العقلية ، فالمعجزات عنده ليست إلا عجائب ناشئة عن كمال الخواص الإنسانية عند النبى ﷺ وليست معجزات بمعنى الكلمة أى تتجاوز العقل الإنسانى أو أنها خارقة للعادة . ويؤكد الدكتور عاطف أن رأى ابن رشد هذا لا يعنى نفيه للمعجزات كلية ، بل إن تفرقته بين المعجز الجوانى والمعجز البرانى قامت على أساس رأيه فى التوفيق بين العقل والشرع ، وإذا كان المعجز الجوانى مناسباً لأهل البرهان فإن المعجز البرانى قد أعد للذين يسلكون مسلك الإقناع .

ويرى الدكتور عاطف العراقي أن ابن رشد عندما أراد تحديد نوع المعجزة التى يعتمد عليها الشرع نادى بالمعجز الجوانى لكون معجزة النبى هى القرآن ، وإذا كانت هنا لك حوادث خارقة للعادة فهذه الحوادث أشياء ثانوية تمثل المعجز البرانى الذى ضرب أساساً لأهل الإقناع ، ومن ثم فإن كل ما يعوذنا هو المعجز الجوانى المناسب . أما إذا ذهبنا إلى القول بأن قوانين الطبيعة لا يمكن أن تقيد قدرة وضعتها وبهذا يكون المعجز البرانى ممكناً فإن هذا لا يؤدى إلى دراسة الطبيعة ووضع قوانين ثابتة شاملة لها ، وليست العبرة بالقول بأن المعجز المناسب دليل دقيق ميسر حتى على الخاصة للاقتناع به وإقناع الغير لأنه يقوم على تقدير صلاح الشريعة وموافقتها لكمال الإنسان وسعادته ، وهذا التقدير لا يتجاوز حد الاقتناع الأدبى ، أما المعجز البرانى فالتثبت من وقوعه أسهل ولكن العبرة بما يتفق وأدلة العقول ومنطق الوجود معاً . (١)

وذلك فى إشارة إلى أن ابن رشد قد ميز بين المعجز الحسى والمعجز العقلى على أساس مدى الحاجة إلى المعجزة ومقدار الصدق ودليل البرهان والتأكيد على

---

(١) د/ عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ٣٥٨-٣٥٩ .

أن المعجزة الحقيقية يجب أن تكون هى الرسالة والوحى لتكون دليلاً أكيداً على النبوة وصدق الرسالة .

ويؤيد الدكتور على المغربى فى كتابه النبوة والأنبياء ما ذهب إليه ابن رشد من تمييز وتقديم للمعجز العقلى على المعجز الحسى ويعقد مقارنة بينهما وليبين أفضلية المعجز العقلى المتمثل فى القرآن الكريم على باقى الخوارق والمعجزات ويؤكد أن المعجزات الحسية التى جاءت على أيدى الأنبياء لا تكون وحدها هى الطريق الوحيد إلى إثبات نبوة الأنبياء بل هى تمثل أحد هذه الطرق بل هى أضعف دلالة وقوة من المعجزات العقلية . ويبرر الدكتور المغربى أسبقية المعجز العقلى وأفضليته بقوله : إن المعجزات الحسية معجزات وقتية وبالتالى معرضة للنسيان أما المعجزات العقلية فهى دائمة التأثير والمفعول وهى باقية فى كل زمان ومكان ، لأنها ليست فعلاً حسياً خارق للعادة وما ألفه الناس . ويرى أيضاً : أن الحكم على المعجزات الحسية من حيث القوة والضعف لا يعنى الشك فيها كحدث وقع بالفعل واقترن بدعوى الأنبياء وكان دليلاً على صدقهم ، ومع هذا فهى لا تدخل فى مضمون الدعوة ذاتها لأنها لا تحتوى على أية تعاليم بل هى مقدمة ضرورية يسلم بها القوم للنبى ويأخذون عنه مضمون الرسالة .

ولأنها كذلك فإن التصديق بها لا يدخل ضمن التصديق بالرسالة وما فيها من أمور تكليفية تعبدية ، وأن التصديق بها وحدها ليس كافياً للإيمان بما جاء به الرسول كما أن إنكارها لا يعنى بالضرورة إنكار ما جاء به الرسول ، وهذا هو موقف فلاسفة الإسلام وعلماء الكلام الذين تناولوا مسألة المعجزات وخوارق العادات وقارنوا بين معجزات محمد ﷺ ومعجزات باقى الأنبياء ، وحديثهم عن المعجزات العقلية ، وهو نفس ما ذهب إليه ابن رشد فى هذه المسألة . (١)

وعند المقارنة بين رأى ابن رشد ورأى المعاصرين فى تفسير المعجز الحسى والعقلى يأتى رأى الإمام محمد عبده فى مقدمة الآراء التى تقترب إلى حد بعيد من

(١) د/ على عبد الفتاح المغربى : النبوة والأنبياء ص ١٤٤- ١٤٦ .

رأى ابن رشد ، من حيث تمييز الإمام محمد عبده بين نوعين من المعجزات والإعلاء من المعجز العقلى والتأكيد على أن العقل هو وسيلة الإيمان الصحيح .

ولأن مسألة المعجزات والتصديق بالخوارق تثار أمام العقل فى كل عصر لارتباطها بقضايا الوعى والدين والعلم ، ومدى تأثر العوام وتصديقهم بمعارف الحس ، والانحراف عن أصول الدين والاعتقاد الساذج بالخوارق والأسطورة ، وإمكان الجمع بين المعجزات وباقى الخوارق وأعمال السحر وكرامات الأولياء .

من أجل ذلك كان اهتمام رجال الفكر فى العصر الحديث بمسألة المعجزات والخوارق وخاصة مسألة التمييز بين المعجزات الحسية والمعجزات العقلية كما فعل ابن رشد من قبل وكما فعل الإمام محمد عبده في عصرنا .

فقد نبه الإمام إلى خطورة القول باعتبار المعجزات واستمرارها وإنها شئ ممكن الوقوع فى كل زمان ومكان ، كما نبه من خطورة انتظارها وتوقعها وتصديقها دون حاجة أو دليل ، وأكد فى رسالة التوحيد على أن المعجزة ليست من المستحيل العقلى لأن السير الطبيعى المعروف فى الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته بل ذلك مما يقع ، كما يشاهد فى أمر المريض حين يمتنع عن الأكل مدة ، فإذا لم يأكل وهو صحيح لمات مع وجود العلة التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الإتلاف [1] .

وعن القرآن كمعجزة عقلية يؤكد الإمام محمد عبده على أن معجزة النبى ﷺ تختلف عن سائر المعجزات وتتميز بعدة مميزات منها :

١ – أنها تقوم على حال النبى نفسه والقرآن المنزل عليه ودعوة العقل لإدراك وجوه الإعجاز .

٢ – أن القرآن كمعجزة قد نهج بالدين منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة منهجاً يمكن لأهل الزمن الذى نزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا عليه .

---

(١) الإمام محمد عبده : رسالة التوحيد ط مكتبة القاهرة ١٩٦٠ ص ١٧ .

٣ - أن القرآن كمعجز عقلي لم يقتصر الاستدلال على نبوة النبي ﷺ بما عهد من الاستدلال به على النبوات السابقة بل جعل الدليل في حال النبي ﷺ مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز العلماء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة فيه ، وقص علينا عن صفات الله ما أذن لنا أو ما أوجب علينا أن نعلم ، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ، ولكنه أقام الدعوى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه .

٤ - أن القرآن معجزة عقلية تخاطب العقل وتحفزه على النظر والتأمل . ودليل ذلك عند محمد عبده : أن النظر العقلي هو الأصل الذي بني عليه الإسلام ، وان العقل هو وسيلة الإيمان الصحيح ، وأن منهج القرآن في إثبات الإيمان هو العقل والفكر والبرهان ، وأن القرآن كمعجزة عقلية لا يدهشك بخارق للعادة ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية . [١] فتلك براهين وعلامات تؤكد تميز القرآن كمعجزة عن باقي الخوارق الحسية الأخرى كما تؤكد تردد آراء ابن رشد في عصرنا وتأثر الإمام محمد عبده وغيره بآراء ابن رشد وخاصة في المعجزات .

كما تؤكد ضرورة بيان حقائق المعجزات لكشف ما يردده الجهال من خرافات وخلطهم بين المعجزة والخارقة وبين المعجزات والكرامات والحيل .

(١) راجع رأي الإمام محمد عبده في المعجزات والخوارق في رسالة التوحيد ص ١٧،٨،٧
والإسلام والنصرانية ص ٤٧،٤٨
والتفكير فريضة إنسانية / عباس محمود العقاد . المجموعة الكاملة ص ٢٦٣ .

المبحث الثالث

في المعجزة والسببية عند الغزالي وإبن رشد

المعجزة والسببية عند الغزالي
المعجزة والسببية عند ابن رشد
موقف ابن رشد النقدي
المعجزة والسببية عند العقاد

المعجزة والسببية عند الغزالى وابن رشد

أولاً : المعجزة والسببية عند الغزالى :

عندما أثار الفلاسفة قبل الغزالى " خاصة الفارابى وابن سينا " مسألة العلل وإدراكها كما أثارها أرسطو وأيدوا ما ذهب إليه أرسطو من قدرة العقل على إدراك العلل القريبة والبعيدة وأن لا شئ موجود يخرج على قوانين السببية التى تحكم الكون وأن جميع الظواهر بما فيها الخوارق واقعة فى دائرة الوجوب .. عند ئذ أثار الغزالى فى العديد من مؤلفاته وظيفة العقل وحاول بمختلف الأدلة والبراهين إثبات أن العقل لا يهتدى إلى دقائق الشرع أو ما وراء الأسباب الظاهرة ، وان العقل فى مجال درك العلوم والمعارف يشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة . (١)

وحاول الغزالى تقديم قول حاسم فى مسألة المعجزات وخوارق العادات فى كتاب الإحياء أولاً ثم فى كتاب تهافت الفلاسفة حيث أكد الغزالى على :

١ - أن المعجزات بوصفها أمور خارقة للعادة لابد أن تقع فى دائرة الممكن أو الجائز العقلى وليس فى دائرة الوجوب ، لأن المنكرين للإمكان فى المعجزات ليس لهم دليل على إنكارهم سوى مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار مثلاً ، وفرق شاسع بين حصول الظاهرة عند وجود ما يسمى سبباً وبين حصوله بما يسمي سبباً ، ولأن العلة الأولى فى الإيجاد هى الله ، أما العلة التى نراها أسباباً ظاهرة ليست عللاً أو أسباباً حقيقية .

٢ - أن الاقتران بين السبب والمسبب ، أو بين المعجزة والتصديق بها هو اقتران جرت العادة على مشاهدته ومن ثم فإن معجزات الأنبياء ليست مخالفة لقوانين الكون ، وعلة ذلك عند الغزالى أن السبب ليس علة للمسبب ولكن ظاهرة تقرن بالمسبب ، فالأسباب ظواهر تعاون المسببات أو تقرن بها وليست هى علتها .

---

(١) راجع : المنقذ من الضلال للغزالى ص ١٤٦-١٤٨

٣ – أن جميع الحوادث والممكنات ليس لها علة إلا إرادة الله الذى لو شاء أن تحدث لحدثت وإن لم يشأ لم تحدث رغم الأسباب والمسببات ، وأن إرجاع الحوادث ومنها الخوارق للسببية وحدها فيه جحد للقدرة الإلهية .

٤ – أن حصول المعجزات والخوارق والكرامات أمر طبيعى ومطلوب للدلالة على صدق الأنبياء وقدرة الخالق .

٥ – أن الكلام فى المعجزات والخوارق وكرامات الأنبياء والصالحين ليس فيه للقدماء قول ويقصد بهم " أرسطو ومن تبعه من العرب كالكندى والفارابى وابن سينا " والمعتزلة ثم ابن رشد بعد ذلك " لأن الفلاسفة اخضعوا إطراد القوانين وعدم إطرادها للأسباب والعلل الطبيعية ، أما الغزالى فقد علل التخلف الذى يقع فى بعض الأحيان بتخلف القوابل عن أن تكون مستعدة لأن تؤثر فيها أسبابها وأن إطراد القوانين وعدم إطرادها خاضع لإرادة مخترعها وأن هذا التخلف ممكن فى ذاته . وفى إطار ذلك تفهم المعجزات والخوارق .

٦ – أن المعجزة هى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى ، وهى اقتران جرت العادة عليه ومن ثم فهى ممكنة الحدوث وخارجة عن إطار السببية والعلية لأن فاعلها هو الله .

– ولكى يثبت الغزالى أن المعجزة كخارقة للعادة غير خاضعة لأحكام الطبيعة وأسبابها وضع الخوارق كلها فى دائرة الممكن على اعتبار أن الواجب والضرورى هو اللازم والمعتاد والأصل فى المعجزة أنها غير معتادة ولا مألوفة .

– واثبت الغزالى أن خروج المعجزة عن أسباب الطبيعة أمر ممكن لأن هناك أسباباً لا نعلمها ولا نشاهدها ، وليس بلازم أن تكون الأسباب كلها هى تلك الأسباب التى نشاهدها ومن ثم فإن هناك أسباباً لا تخضع للعقل وظواهر لا يدرك العقل أسبابها ومنها الخوارق لذا فإن اقتران المعجزة بالأسباب الطبيعية ليس ضرورياً لأن المعجزة فى حقيقتها كما يقول الغزالى هى آية غير معتادة وغير مألوفة .

- وسوف نلاحظ أن الغزالى بدأ يعرض مسألة المعجزات والخوارق فى إحياء علوم الدين دون براهين منطقية على غير الصورة التى عرضها فى تهافت الفلاسفة حيث اتخذ من مسألة المعجزة والسببية سبيلاً لإثبات تهافت قدرة العقل على إدراك علل الخوارق والحكم عليها ، لكى يثبت أن العلاقة بين الأسباب والمسببات ليست ضرورية بل اقترانية وأن المعجزات كخوارق تقع فى دائرة الممكنات ولا تخضع للضرورة والحتمية الطبيعية .

- ولقد استدل الغزالى على أن المعجزات هى خوارق العادات بالمعجزات والكرامات العديدة التى وقعت للنبى ﷺ وأوردها فى كتاب الإحياء فقال: قد خرق الله العادة على يده ﷺ غير مرة : إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية ، وأطعم النفر الكثير فى منزل جابر وفى منزل أبى طلحة ويوم الخندق ، وأطعم الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها ، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب العسكر كلهم وهم عطاش ، وإهراق الماء له فى عين تبوك وبئر الحديبية بعد أن كان لا ماء فيها فشرب الجيش وهم ألوف .

ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل فى ذلك القرآن : وما رميت إذ رميت ولكن اللة رمى [١] ، وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثة ﷺ فعدمت وكان ظاهرة موجودة ، وحن الجذع الذى كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع من جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمه إليه فسكن [٢] ،وأخبر عليه السلام بالغيوب ووردت الاحاديث بوقوعها منها : إنذار عثمان بأن تصيبة بلوى بعدها الجنة ، وأخبر أن عماراً تقتله الفئة الباغية ، وأخبر بأن الحسن يصلح الله به فئتين من المسلميين عظيمتين ، وإخباره عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن الرجل قتل نفسه ، وأخبر سراقة بأن سيوضع فى ذراعيه سوار كسرى فكان له ذلك ، وأخبر بمقتل الأسود العنس الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله ، وأخبر عليه السلام أنه يقتل أبى بن خلف الجمحى فخدشه

---

(١) الأنفال : ١٧ ورو ى الحديث ابن مردوية فى تفسيره وأخرجه مسلم من حديث مسلمة بن الأكوع من حديث جابر وابن عباس .

(٢) حديث حنين الجذع أخرجه البخارى من حديث جابر وسهل بن سعد .

يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيته فيه ، وأخبر ﷺ أن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان ذلك ، ومسح ضرع شاة حائل لا لبن فيها فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود ﷺ وفعل ذلك مرة أخرى فى خيمة أم معبد الخزاعية ، وغير ذلك من كرامات النبى ﷺ ومعجزاته الحسية كثير والتى أوردها الغزالى (١)

وبعد أن أورد الغزالى هذه النماذج من المعجزات والخوارق قال : وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف البتة بشئ من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر لكن بأعلام الله تعالى ووحيه .

ووصف الغزالى معجزة القرآن فقال : ثم لا يتمارى فى تواتر القرآن وهى المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق ، وليس لنبى معجزة باقية سواه ﷺ إذ تحدى بها بلغاء الخلق وفصحاء العرب والفصاحة صنعتهم وبها مناقستهم ومباهاتهم ، وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه .. وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا فى جزالته وحسنه ، وقد مرت القرون والسنون ولم يقدر أحد على معارضته (٢) .

وأثبت الغزالى أن المعجزات والكرامات كلاهما وحى إلهى وقدرة إلهية وإنها غير مكتسبة ولا متعلمة ، وأن كلاهما إستمداد من تأييد سماوى وقوة إلهية ولا تكتسب بمهارة أو تعليم ، وأن المعجزات ليست وحدها دلائل الصدق بل إن جميع الشمائل التى يتحلى بها الأنبياء هى دلائل الصدق والإعجاز .

ويفسر الغزالى ذلك بقوله : إعلم أن من يشاهد أحواله ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طلعته مع ما يحكي من عجائب أجوبته فى مضايق الأسئلة وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق ومحاسن اشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك

---

(١) راجع احياء علوم الدين جـ٢ ص ٣٨٣-٣٨٧ .

(٢) إحياء علوم الدين الغزالى جـ٢ ص ٣٨٥ ٣٨٧ .

أوائل دقائقها فى طول أعمارهم ، لم يبق له ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالإستمداد من تأييد سماوى وقوة إلهية ، فكانت شمائله ﷺ ، وأحواله شواهد قاطعة بصدقه(١) .

ويصف الغزالى كيفية إدراك الأسباب بمسبباتها فى عالم الأسباب " الشهادة " وكيف أن عملية الإدراك موقوفة على جوهر الإنسان والقدرة على الإدراك ومثال ذلك عنده معارف الأنبياء ودليل إمكانها ووجودها ..

ويرى الغزالى أن الأنبياء إذا بلغ معراجهم إلى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الأقصى وأشرفوا منه إلى السفل ونظروا من فوق إلى تحت ، إطلعوا أيضاً على قلوب العباد ، وأشرفوا على جملة من علوم الغيب . إذ من كان فى عالم الملكوت كان عند الله تعالى " وعنده مفاتيح الغيب " أى من عند الله تنزل أسباب الموجودات فى عالم الشهادة ، وعالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجرى منه مجرى الظل بالإضافة إلى الشخص ومجرى الثمرة بالإضافة إلى المثمر والمسبب ، ومفاتيح معرفة المسببات لا توجد إلا من الأسباب ، ولذلك كان عالم الشهادة مثالاً لعالم الملكوت ، لأن المسبب لا يخلو من موازاة السبب ومحاكاته نوعاً من المحاكاة على قرب أو على بعد . (٢)

وفى المنقذ من الضلال يفصل الغزالى القول فى حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق إليها ، وأن النبوة لا تدرك بالعقل وكذلك معجزات الأنبياء لأن طلب اليقين بالنبوة والمعجزة لا يكون بحس ولا بعقل ، ويوضح ذلك بقوله : " فكما أن العقل طور من أطوار الآدمى يحصل فيه عين يبصر بها أنواعاً من المعقولات والحواس معزولة عنها ، فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر فى نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل .

والشك فى النبوة ، إما أن يقع فى إمكانها أو فى وجودها ووقوعها أو فى حصولها لشخص معين . ودليل إمكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف فى

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨٣ .

(٢) مشكاة الأنوار : الغزالى ص ٥٣ .

العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم فإن من بحث عنهما علم بالضرورة إنها لا تدرك إلا بإلهام إلهى وتوفيق من جهة الله ولا سبيل إليه بالتجربة . فمن الأحكام النجومية ما لا يقع فى كل ألف سنة مرة ، فكيف ينال ذلك بالتجربة ؟ وكذلك خواص الأدوية . فتبين بهذا البرهان أن فى الإمكان وجود طريق لإدراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل ، وهو المراد بالنبوة ، لأن النبوة عبارة عنها فقط .. كذلك معجزات الأنبياء لا سبيل إليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلاً ، وأما ما عدا هذا من خواص النبوة فإنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف . (١)

ويبرهن الغزالى على أهمية التصديق بالمعجزة والنبوة وكيفية حصول العلم الضرورى بهما فيقول : إذا فهمت معنى النبوة "بالتواتر ومعرفة الأحوال والتسامع" فأكثر النظر فى القرآن والأخبار يحصل لك العلم الضرورى بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة ، فمن هذا الطريق أطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعباناً وشق القمر فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت أنه سحر وأنه تخييل وأنه من الله تعالى وترد عليك أسئلة المعجزات فإذا كان مستند إيمانك كلاماً منظوماً فى وجه دلالة المعجزة فينجزم إيمانك بكلام مرتب فى وجه الإشكال والشبهة عليها ، فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن فى جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضرورى . (٢)

وإذا كان الغزالى قد اكتفى بعرض المقدمات والوصف للمعجزات فى المنقذ من الضلال والاقتصاد فى الاعتقاد والإحياء ، فإنه قد تعمد بحث مسألة المعجزة وعلاقتها بالسببية والعقل فى كتاب التهافت بغية الرد على أراء الفلاسفة ورجال الكلام فى هذه المسألة .

وسوف نلاحظ أن آراء الغزالى فى المعجزات وخوارق العادات والتى عرضها فى تهافت الفلاسفة كانت من الدوافع الرئيسية وراء اهتمام ابن رشد بهذه

---

(١) المنقذ من الضلال : الغزالى . ص٨٥-٨٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٧-٨٨ .

المسألة ومحاولته الرد على الأشعرية والغزالى فيها بآراء لا تتعارض مع العقل أو الشرع .

ذهب الغزالى فى التهافت إلى أن المعجزة هى الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الواقع فى دائرة الممكن ، والتصديق بها أمر طبيعى لأن التصديق بها هو اقتران جرت العادة على مشاهدته .

واعتبر الغزالى أن المعجزة أمر خارج عن السببية الكونية . لأن الحوادث ليس لها علة إلا إرادة الله الذى لو شاء أن تحدث لحدثت وإن لم يشأ لم تحدث . أى أن القدرة الإلهية هى السبب الحقيقى والعلة الفاعلة لكل ما يقع فى الكون من ظواهر أو خوارق . ودليل ذلك عنده كما ذكر فى التهافت : " إن الإقتران بين ما يعتقد فى العادة سبباً وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ، ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الرى والشرب والشبع والأكل والاحتراق ولقاء النار والنور وطلوع الشمس ، فإن إقرانها أو لزوم حدوثها لما سبق فى تقدير الله سبحانه يخلقها على التساوق لا لكونه ضرورياً فى نفسه غير قابل للفوت ، بل فى المقدور خلق الشبع دون الأكل وهلم جرا ، إلى جميع المقترنات . (١)

وهكذا حاول الغزالى إثبات أن السبب شئ والمسبب شئ آخر وأن الترابط بين الأسباب والمسببات ليس ضرورياً والسبب فى ذلك عنده أن الطبيعة ليست سبباً أو مصدراً للأسباب ومسبباتها أو الحوادث وان وجود الأشياء ومنها الخوارق والمعجزات أمر ممكن دون الرجوع للأسباب الكونية وترابطها وأن إحداثها بأسباب أو بغيرها أمر ممكن لأنه لا يستحيل على الله سبحانه ذلك وليس بلازم أن تكون الأسباب هى تلك الأسباب الظاهرة التى نشاهدها لأن فى مقدورات الله عجائب وغرائب لم نطلع عليها ينكرها من يظن أنه لا موجود إلا لما يشاهده .(٢)

---

(١) الغزالى : تهافت الفلاسفة ص ٢٣٧-٢٣٨ . ود/ محمود حمدى زقزوق : المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص ١٦٦-١٧٢ .

(٢) د. محمد عبد الستار نصار فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات ص ٢٣٧-٢٥٧ انظر د. الطبلاوى : موقف ابن تمية من فلسفة ابن رشد ط ١٩٨٩ ص ١٨٦-١٨٩ .

وهذه مبررات الغزالي لإنكار السببية والعلية في مسألة المعجزات :

- إن التصديق بالمعجزات والنبوات والخوارق وتقرير وجودها أمر لا يستند على البرهنة المنطقية والعلل الطبيعية لأن دليل إمكانها هو دليل وجودها .

وتفسير ذلك عنده : أن مهمة العقل أن يقودنا إلى فهم المجردات كوجود الله والوحي وليس من مهامه إدراك أمور غيب تفوق قدرته ، وأن مهمة العلم وصف الظواهر المقترنة وليس من مهمته أن يصل إلى العلل ولا سيما العلل الأولى أو البعيدة . ويمكن ملاحظة تراجع الغزالي عن هذا الرأي في كتاب الإحياء وخاصة عند بحث علاقة العقل بالشرع واثبات عدم تناقض العلوم الدينية والعقلية . فهو يرى : أن العقل هو الملكة التي تميز بها الإنسان لمعرفة الحقيقة ، وأنه " كالأساس" والشرع كالبناء وكلاهما يقودان إلى ذات الحقيقة ، وهما لا يتناقضان لأن مصدرهما واحد وغايتهما واحدة ، فالعقل نموذج من عند الله " نور الله " والوحي صادر من عند الله فمصدرهما واحد وليس من المعقول أن يحدث تناقض بينهما فيما يوصلان إليه من معارف ، فالشرع عقل من خارج . والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان ومتحدان ويقرر كل منهما الآخر .[1]

ويظهر تراجع الغزالي واضحاً عندما يقرر أن العقل رغم قصوره عن درك مسائل الوحي كان له الحق في تفحص هذه الأمور لمعرفة ما إذا كانت هذه المسائل جائزة أم مستحيلة ، فإذا كانت الأمور جائزة عقلاً وجب على المرء قبولها والتصديق بها ، وإذا كانت من المستحيلات التي تناقض العقل لا يمكن قبولها أو التصديق بها ، إذ لا يمكن عزل العقل وإبعاده حتى عن مسائل الوحي والمعجزات وفي نفس الوقت لا يجوز الاكتفاء بمجرد العقل في إدراك هذه المسائل فالأشياء لها حقيقة وإلى دركها طريق [2] .

- إن القول بالحتمية والضرورة فيه استبعاد للقدرة الإلهية والإرادة التي هي العلة الحقيقية لجميع الحوادث والخوارق والمعجزات ، لأن السبب ليس بالضرورة علة

(١) الإحياء : ج٣ ص ١٦، ١٨ .

(٢) الغزالي : الإحياء جـ٣ ص ١٦-١٧ ، وفي المنقذ من الضلال ص ١٣٦-١٥٦ .

للمسبب ولكنه ظاهرة تقرن بالمسبب ، إذ الأسباب ظواهـــر تقـارن بالمسـببات وليست هى علتها ، وعليه فإن العلل القريبة أو الأسباب الظـاهرة ليسـت علـلاً حقيقية ، لأن الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضروريـاً عندنا فليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخـر ففـى المقدر أو الممكن خلق الشبع دون الأكل وهكذا .(١)

- إن اطراد القوانين فى إحداث الظواهر اطراداً عقلياً لا يلغـى وقـوع الخـوارق والمعجزات ، لأن التخلف الذى يقع فى بعض الأحيان بتخلف القوابـل عـن أن تكون مستعدة لأن تؤثر فيها أسبابها ، وعلى ذلك فإن إطـراد القوانيـن أو عـدم إطرادها خاضع لإرادة مخترعها فهو ممكن فـى ذاتـه ، لـذا فـإن التصديـق بالمعجزات يتطلب إثبات أن العلاقة بين الأسباب والمسببات ليست ضرورية بـل اقترانية .

- بما أن السبب أو الفاعل لا يأخذ هذا الوصف إلا إذا كان ذا إرادة ، ولمـا كـانت عناصر الطبيعة ليست كذلك وإنما تفعل بالطبع فإن إطلاق اسم السبب أو الفـاعل عليها إنما هو ضرب من المجاز ، وإذا كان الاعتياد هو المألوف فإن المعجـزات هى الآية الغير معتادة لأنها الخارقة لقوانين العادة أو السببية الطبيعية وعلى ذلـك كان من الجائز خلق الشبع دون الأكل لإثبات أن المقترنات ليست ضرورية بـل ممكنة لأن الممكن هو ما لم يقم دليل على وجوبه أو استحالته ، وكانت المعجزات من الممكنات لأنها ليست من المستحيلات أو الواجبات .(٢)

- بما أن من وظائف العقل المعرفية إدراك حقائق النبوة والأرشـاد إلـى الوحـى وتيسير فهم الشرائع ، وبما أن الطبيعة وأسبابها خاضعة للإرادة والقـدرة والعلـم الإلهى ، فإن وجود الأشياء وإحداثها بأسبابها أو بغير أسبابها من الأمور الممكنـة لأنه لا يستحيل على الله شئ ، وأن الأسباب الظاهرة كعلل فاعلة غـير مسـتقلة بتأثيرها عن القدرة الإلهية ، فكانت المعجزات من الجائزات (٣)

---

(١) د. عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ١٣٠ .

(٢) الغزالى : تهافت الفلاسفة ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٣) الفخر الرازى : النبوات وما يتعلق بها ص ٧٩، ١٦٨ .

- إن أدلة النقل تؤيد دلالة المعجزات الحسية على صدق النبوة كما تؤيد اعتياد طلب المعجزات واقترانها بالنبوات والرسالات فكان لكل نبى معجزة خارقة للأسباب ، مثال ذلك طلب قوم عيسى عليه السلام مأدبة من السماء ، كما سألوه شفاء المرضى وإحياء الموتى ، وكان دليل الإمكان وجود هذه المعجزات وتحققها ، ووجود المصدقين والمؤيدين ووجود المنكرين والمعاندين ، ودليل ذلك فى القرآن قوله تعالى فى سورة الأنعام: " وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين " (١) " ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين " (٢) " وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون " (٣) " وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون " (٤) فهذه الآيات دالة على الجواز والإمكان ولا تدل على اطراد الأسباب واستمرارها وحتميتها . (٥)

ولنا ملاحظة :

فقد لاحظنا غلبة الطابع الكلامى وخاصة الأشعرى فى معالجة الغزالى لمسألة المعجزات وخوارق العادات ، كما لاحظنا تعارض الآراء التى وردت فى تهافت الفلاسفة مع الآراء التى أوردها فى باقى المؤلفات كالإحياء أو المنقذ من الضلال أو الاقتصاد فى الإعتقاد حول هذه المسألة وعند عرضه للمبررات التى تؤيد القول بالجواز والإمكان وترفض حتمية الأسباب الطبيعية ، كما ترفض أن تكون المعجزات خرق للعادات وقوانين الضرورة والحتمية .

ورغم هذه الملاحظة فإن القول بالإمكان أو الجواز الذى يرفضه ابن رشد كما سيظهر عند عرض موقفه ، هو أقرب إلى الروح العلمية القائلة بالتطور فى العلوم،

---

(١) الأنعام : ٤ .

(٢) الأنعام : ٧ .

(٣) الأنعام : ٨ .

(٤) الأنعام : ٣٧ .

(٥) الغزالى : المنقذ من الضلال ص ١٤٦-١٤٨ ، الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٠٧ . راجع كذلك : د/ عبد الرحمن بدوى : مؤلفات الغزالى ص ٦٧ . وفى دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٣١ .

لأن القول بلزوم الأسباب والمسببات يوحى بالجمود والتلقائية كما يوحى بثبات النظام الكونى والطبيعى تبعاً لثبات القوانين والعلل الطبيعية .

- ويؤيد هذا القول بأن ظواهر الكون ترجع إلى نوعين من الأسباب أو العلل أحدهما ظاهرة قريبة وأخرى بعيدة فوق قدرات العقل ومشاهدات الحس ، وهى العلل الواقعة فى عالم ما وراء الطبيعة أو الغيب ومعروف أن هذا الرأى يتعارض مع ما ذهب إليه أرسطو وابن رشد وغيرهم من القائلين بالترابط الضرورى والحتمى بين الأسباب ومسبباتها ، وهى وجهة النظر المؤيدة لثبات المعارف ووحدة القوانين والأسباب . وكان " ديفيد هيوم " - الفيلسوف الإنجليزي المعروف - من المؤيد بين للقول بالإمكان والجواز لأنه الأقرب إلى فكرة تطور العلوم واستحداث القوانين وتطور المكتشفات ، وهو يؤيد هذا بقوله : " إنه ليس ثمة عليه ولا ارتباط ضرورى بين العلة ومعلولها وكل ما هنالك عادة ذهنية تكونت على إثر توالى الحوادث وتعاقبها فحملتنا على أن ننتظر حادثة بعد أخرى ومخيلة أسبغت على الحادثة الأولى سراً كامناً وقوة خارقة للعادة ، وللمخيلة دخل كبير فى أغلب مظاهر تفكيرنا وخاصة ما اتصل منها بالمعتقدات الشعبية . (١)

- ويؤيد هذا القول أيضاً علم النفس الذى يفسر كلمة العادة التى قال بها الغزالى وغيره بما يوحى بالترابط الضرورى والاقتران ، وأعطى معان غير التى أوردها ابن رشد عند محاولته تفسير كلمة العادة عند الغزالى فكلمة العادة فى علم النفس والتعلم هى الرابطة بين المثير والاستجابة وأن العادة تنتج من التكرار والتلازم والاستمرار والترابط بين العلة والمعلول أو الفعل ورد الفعل وتكرار الممارسة والمشاهدة فكل ذلك يولد العادة ، وهى التى يطلق عليها ابن رشد الحتمية الضرورية بين الأسباب ومسبباتها والتى يرفض ابن رشد أن تكون المعجزات خرقاً لها .

---

(١) د/ محمد عبد الستار نصار : فى الفلسفة الإسلامية قضايا ومناقشات ص ٢٥٨ .

ثانياً : المعجــزة والسببية عند ابن رشــد :

حاول ابن رشد إثبات خطأ التأويلات التى قدمها الأشعرية والغزالى وغــيرهم فى هذه المسألة ، وخاصة ما أورده الغزالى فى التهافت وعاب عليهم مسلكهم لأنــهم تركوا أدلة القرآن وفى نفس الوقت لم ينتصروا للعقل ولجأوا إلى الجدل الخطــابى والمماثلة بين العالم الإلهى والعالم الإنسانى ، وأكد أن طريقتهم قــد تكــون مقنعــة ولائقة بالجمهور دون أن تكون لائقة أو مناسبة لأهل البرهان .

ولا شك أن معالجة ابن رشد لمسألة السببية والمعجزة والخوارق قد أظــهرت مدى تأثره بآراء أرسطو فى العلل الأربع " المادية والصورية والفاعلــة والغائيــة " وما عرضه فى كتابه السماع الطبيعى وما بعد الطبيعة إذ على أســاس هــذه الآراء رفض ابن رشد أن تقع المعجزات فى إطار الممكن على اعتبار أن الممكن هو مــا يمكن أن يوجد أولاً يوجد وهو المحتمل وقوعه أى الذى يحدث صدفة ، والصدفــة تعنى أن القوانين الطبيعية ليست حتمية بمعنى الكلمة ، وأن خروج الجائز إلى حــيز الوجود يقتضى تغيراً فى الإرادة القديمة ومن ثم لابد من القول بحدوث الإرادة مــع حدوث المراد .

من أجل ذلك طلب ابن رشد أن تخضع المعجزات وخوارق العادات لقوانيــن السببية والضرورة لأن القول بالإمكان وخرق العادات هو تعطيل للأسباب وخــرق للنظام وإنكار لحكمة الخالق ولأن الإمكان لا يمكن تطبيقه إلا على الطبيعة الجــامدة ومن وجهة النظر الإنسانية وحدها ، وأن الإتقان والحكمة والنظام وتسلســل العلــل الذى نراه فى الموجودات يتنافى ضرورة مع القول بالجواز والإمكان ، ولأن القــول بالإمكان هو إلغاء للأسباب وإلغاء للعقل الذى يدلنا على أسباب الموجودات ، ولــذا فالمعجزات يجب أن تقع فى دائرة الواجب العقلى ولا تقع فى دائرة الممكنات ولذلـك فالعقل لا ينكر المعجزات والمعجزات لابد أن تساير الأسباب والعقل .

وهذه مبررات ابن رشد للقول بالضرورة والسببية :

١ - من الثابت والضرورى أن يكون هناك ترتيب ونظام لا يوجد أتقن منه ولا أتــم منه ، فالإمتزاجات الموجودة فى الموجودات محــددة ومقــدرة والموجــودات

الحادثة عنها واجبة ويوجد ذلك دوما ولا يختل ، بدليل قوله تعالى : " صنع الله الذى أتقن كل شئ " [١]

وقوله تعالى : " ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور [٢] " ويعلق ابن رشد على ذلك بقوله " أى تفاوت أعظم من أن تكون الأشياء كلها يمكن أن توجد على صفة أخرى فوجدت على هذه الصفة " من الجمال والإتقان " ولعل تلك الصفة المعدومة أفضل من الموجودة " فمن زعم أن الحركة الشرقية لو كانت غربية ، والغربية شرقية لم يكن ذلك فرق فى صنعة العالم فقد أبطل الحكمة . [٣]

٢ – إن الترابط الضرورى بين الأسباب والمسببات يؤدى إلى القول بالحكمة والغائية ، فالحكمة هى معرفة الأسباب التى تقوم على منطق العقل ، وأنه إذا ارتفعت الضرورة عن كميات الأشياء المصنوعة وكيفياتها وموادها – كما يتوهم الأشعرية – لارتفعت الحكمة الموجودة فى الصانع وفى المخلوقات ولكان كل فاعل صانعا وكل مؤثر فى الموجودات خالقا وهذا معناه أبطال الخلق والحكمة إذا أبطلنا الضرورة والسببية . وليس العقل – كما يقول ابن رشد – شيئا أكثر من إدراك الموجودات بأسبابها ، وبه يفترق عن سائر القوى المدركة فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل . [٤]

٣ – إن ثبات المعرفة العقلية وثبات نواميس الكون هو المصدر لليقين والمعارف الصحيحة وأساس العلم ، لان العقل يستمد المعلومات من المحسوسات بواسطة التفكير ، وكل فكر من أفكارنا هو صورة منتزعة من العالم المادى ، ولذا فتفكيرنا هو الذى يهدينا إلى أن أشياء العالم مرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول ، وأنها خاضعة لنواميس معينة ، وان هذه النواميس ثابتة لا تتبدل

---

(١) النمل "٨٨" .

(٢) الملك : "٣" .

(٣) د. عاطف العراقى : تجديد فى المذاهب الفلسفية ص ١١٥/١١٤ . ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٢٠٢

(٤) المرجع السابق ص ١١٥ .

لأنها صادرة عن علم الله الذى هو ثابت وأبدى ، والعقل الإنسانى هو صورة تلك النواميس الثابتة ، ولأنه ثابت يمكن اعتباره أساساً لليقين ، ولهذا كان تساؤل ابن رشد : فكيف للغزالى أن يعطل السببية وينكر الترابط الضرورى . ويقول بأن المعجزات خوارق للعادات واقتران جرت العادة عليه مع أن الإيمان بالسببية طريق رئيس من طرق الإيمان بالله ،.ولأن من يرفع السببية يرفع العقل ويبطل العلم ولا يبقى علم من العلوم ضرورياً حتى ولا علم من ينكرون السببية.(١) .

٤ – إن القول بالإمكان أو العادة خرق لنظام الكون الذى يحكمه قانون السببية الذى لا يخضع للاحتمال ، وأن القول بالسببية أكثر صدقاً لأنه يؤيد الاعتقاد بالحكمة والغائية التى تسير بمقتضاها أفعال الموجودات فى هذا الكون سمائه وأرضه ، فى حين أن فكره العادة والإمكان إذا ما قورنت بألفاظ الضرورة واللزوم كانت ألفاظاً مموهة ، وأن لفظ العادة إذا ما حقق لم يكن تحته معنى إلا أنه فعل وضعى مثل قولنا جرت عادة فلان أن يفعل كذا ، وهذا يؤدى إلى القول بأن الموجودات كلها وضعية أى ممكنة ومحتملة وأنه ليس هناك حكمة أصلاً من قبلها ينسب إلى الفاعل أنه حكيم ، وعلى ذلك رفض ابن رشد أن يختل نظام السببية أو يخضع للإمكان أو أن تكون المعجزات هى خوارق لهذا النظام لأن فى اختلاله اختلال الحكمة الإلهية والإتقان . (٢)

٥ – إن السببية دليل الحكمة ووجود الصانع ، وتفسير ذلك عند ابن رشد أن وجود المسببات عن الأسباب لا يخلو من ثلاثة أوجه : إما ان يكون وجود الأسباب لمكان المسببات من الاضطرار مثل كون الإنسان متغذياً ، وإما أن يكون من جهة الأفضل " أى أن تكون المسببات بذلك أفضل ، أو من جهة الاضطرار

---

(١) د/ ماجد فخرى : ابن رشد فيلسوف قرطبة ص ١٠٨ ، خليل شرف الدين : ابن رشد ص ١٣٢-١٣٣ .

(٢) راجع ما كتبه ابن رشد فى تهافت التهافت ص ١٠٢-١٢٣ ، د. عاطف العراقى فى كتابه تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية ص ١١٥-١١٧ .

فيكون وجود المسببات عن الأسباب بالاتفاق وبغير قصد فلا تكون هناك حكمة أصلاً ولا تدل على صانع بل إنما تدل على الاتفاق ، وهذا يدلنا على أن دلالة الموجودات عند الأشاعرة ليست من أجل حكمة فيها تقتضى العناية ولكن من قبل الجواز أى من قبل ما يظهر فى جميع الموجودات أنه جائز فى العقل أن يكون بهذه الصفة وبضدها . ولو كان هذا الجواز على السواء فليس هنا حكمة ، ولا توجد موافقة أصلاً بين الإنسان وبين أجزاء العالم . فإن كان من الممكن وجود الموجودات على غير ما هى عليه وإن هذا كوجودها على ما هى فليس هنا موافقة بين الإنسان وبين أجزاء العالم . (١)

٦ - إن السببية مرتبطة بعملية الإدراك ، لأن معرفة الأسباب من الواجبات العقلية والشرعية ، ولا يمكن اعتبار المسببات من الغيبيات وارجاع معرفتها إلى الله لأن ذلك من التواكل وتفسير ذلك عند ابن رشد : أن هناك نوعين من الأسباب :

أ - الأسباب التى من خارج التى تجرى على نظام محدود بحسب ما قدرها بآرئها عليه ، وكانت إرادتنا وأفعالنا لا تتم ولا توجد بالجملة إلا بموافقة الأسباب التى من خارج ، فوجب أن تكون أفعالنا جارية على نظام محدود فى أوقات محدودة ومقدار محدود ، وهذا واجب لأن أفعالنا تكون مسببة عن تلك الأسباب التى من خارج .

ب- أن النظام المحدد الذى فى الأسباب الداخلة والخارجة هو القضاء والقدر الذى كتبه الله تعالى على عبادة وهو اللوح المحفوظ الذى يتضمن علم الله تعالى بهذه الأسباب وبما يلزم عنها وهو العلة فى وجود هذه الأسباب ، ولذا كانت هذه الأسباب لا يحيط بمعرفتها إلا الله وحده ، فهو العالم بالغيب والحقيقة وحده وفى ذلك جاء قوله تعالى : " قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله . (٢)

---

(١) المرجع السابق تجديد فى المذاهب الفلسفية ص ١٦ .

(٢) النمل : ٦٥

٧ - أن السببية خاضعة للإدراك لأن الوجوب والإمكان والاستحالة قضايا عقليـة ، والعقل هو الذى يحكم ويدرك ويقرر ، فما قدره العقل موجوداً ولم يمتنع عليه تقديره سمى ممكناً وإن امتنع سمى مستحيلاً ، وإن لم يقدر العقل على تقدير عدمه سمى واجباً ، أى أن الإمكان والاستحالة والوجـوب قضايـا عقليـة لا تحتاج إلى موجود أو مسبباً حتى توجد أو تكون وصفا له ، والعقل - أيضـاً - كما يقول ابن رشد ليس شيئاً أكثر من إدراك الموجودات بأسبابها ، فمن يقـول بإنكار الأسباب الفاصلة التى تشاهدها فى المحسوسات فقول سـو فسـطائى ، وصناعة المنطق تضع وضعاً أن ها هنا أسباباً ومسببات ، فرفع هذه الأشـياء هو مبطل للعلم ورافع له ، فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل ، ولا ينبغـى أن يشك فى أن هذه الموجودات قد تفعل بعضها بعضاً ومن بعض وإنـها ليست مكتفية لنفسها فى هذا الفعل بل بفاعل من خارج هو شـرط فعلـها بـل فـى وجودها . (١)

٨ - أن المعجزات وخوارق العادات يجب أن تخضع للعقل والسـببية وألا تخـرج بحال على نظام العلة والمعلول لأن الترابط الحتمى بين الأسـباب ومسـبباتها دليل الحكمة والغائية والعناية الإلهية لان الحكمة هى معرفة الأسباب التى تقوم على منطق العقل بحيث لو ارتفعت الضرورة عن كميات الأشياء المصنوعـة وكيفياتها ومونادها كما يتوهم الأشعرية لارتفعت الحكمة الموجودة فى الصـانع وفى المخلوقات ولكان كل فاعل صانعاً وكل مؤثر فى الموجـودات خالقـاً ، وهذا إبطال للحكمة ، لأن القول بالجواز يعنى أن الأشـياء يمكـن أن تتغـير خصائصها دون نظام ، فالنظام وترابط الأسـباب ومسـبباتها دليـل الحكمـة والغائية فى الكون كله سمائه وأرضه فهى علاقة تربط بين عمـل الأسـباب وعمل العقل الإنسانى.(٢)

---

(١) راجع ماكتبه ابن رشد فى تهافت التهافت ص ١٣٠ و د. محمود حمدى زقـزوق : المنـهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص ١٨٩ .

(٢) د/ عاطف العراقى : تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية ص ١١٥-١١٨ .

ولقد كانت فكرة الحكمة والغائية هى أساس نقد ابن رشد للغزالى والأشعرية لقولهم بالإمكان والجواز فرد عليهم بمبدأ ترتيب الأشياء وفق مبدأ السببية وقوانين الطبيعة وفهمها بالاعتماد على المنطق والبرهان وقال فى رده على الغزالى : اعلم أن الذى قصده الشرع من معرفة العالم أنه مصنوع لله تبارك وتعالى ومخترع له وأنه لم يوجد عن الاتفاق ومن نفسه ، فالطريق الذى سلكه الشرع بالناس فى تقرير هذا الأصل ليس هو طريق الأشعرية . (١)

---

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ١٩٣ وفى النزعة العقلية لابن رشد د/ عاطف العراقى ص ١٣٠ .

ثالثاً: موقف ابن رشد النقدى :

١ - **من الأشعرية** : كان الأشاعرة الهدف الأول والمباشر لإنتقادات ابن رشد ، الذى اتهمهم بعدم الوضوح فى المنهج ورأى أن منهجهم كان بعيداً عن العقل وكذلك الشرع ورأى أن الأشعرية قد انتهجت طريقاً لا يؤدى إلى اليقين بوجود الله ، وهى ليست طريقة عقلية تصلح للعلماء أو الفلاسفة وأنها ليست طريقة شرعية تصلح للجمهور .

واتهم الأشعرية بأنهم كفروا كل من خالفهم ولم يتبع طريقتهم الناقصة أو المحدودة ، وأتهمهم بالجهل والضلال لأن طريقتهم لا تصلح للجمهور أو الخواص كما اتهمهم بأنهم ليسوا من أهل التأويل لأن طرقهم ناقصة عن شرائط البرهان ومعارفهم مشوهة لأنها مبنية على أصول سو فسطائية وأنها تجحد الكثير من الضروريات مثل ثبوت الأعراض وتأثير الأشياء فى بعضها البعض ووجود الأسباب الضرورية للمسببات والصور الجوهرية والوسائط .

وأكد ابن رشد أيضاً أن الأشعرية من أهل الاختلاف وأنهم اختلفوا فيما بينهم فضلوا وأضلوا ، كما أنتقد قولهم فى النظر لأن بعضهم قال أن أول الواجبات النظر وقال آخرون الإيمان وخرج بعضهم على مقصد الشارع عند التأويل وصرحوا بالتأويل أمام العامة ، وهذا كله فى نظر ابن رشد كفر وتضليل ، كما انتقد إتباعهم طريقة واحدة من طرق الإقناع الثلاث وهى : القياس اليقينى أو البرهانى ، والقياس الجدلى ، والقياس الخطابى ، وانهم اكتفوا بالقياس الخطابى وكثيراً ما جعلوا منه قياساً مغالطياً سو فسطائياً ولهذا - فى نظر ابن رشد - قل تقواهم وكثر اختلافهم وارتفعت حجتهم وتفرقوا فرقاً وكانوا سبباً لنشوء البدع فى الإسلام .

كما انتقد ابن رشد قول الأشاعرة بأن كل ما يتحقق فى الطبيعة يرجع إلى علم الإلهى ، وأن المعجزات هى من الممكن العقلى ، على اعتبار أن الممكن هو الذى يمكن أن يوجد أو لا يوجد ، وهو ما يحدث صدفة وان المصادفة تعنى أن القوانين

الطبيعية ليست حتمية بمعنى الكلمة ، وأن القول بالإمكان والاحتمال وخرق العادة فيه إنكار لحكمة الخالق ، وأن الإمكان لا يدل على شئ سوى الجهل بالأسباب الحقيقية وراء الأسباب الظاهرية .

وقد حاول ابن رشد اتخاذ موقف توفيقى ونقدى فى نفس الوقت من الأشعرية عندما حاول إثبات أن إنكار السببية وعدم وقوع الخوارق أو المعجزات فى إطارها يؤدى إلى إنكار الخلق والحكمة والغائية ، فهو يقول للأشعرية مباشرة : أن وجود المسببات عن الأسباب لا يخلو من ثلاثة أوجه : إما أن يكون وجود الأسباب لمكان المسببات من الاضطرار مثل كون الإنسان متغذياً ، وإما أن يكون من جهة الأفضل أى لتكون المسببات بذلك افضل وأتم مثل كون الإنسان له عينان ، وإما أن يكون ذلك لا من جهة الأفضل ولا من جهة الاضطرار فيكون وجود المسببات عن الأسباب بالاتفاق وبغير قصد ، فلا تكون هناك حكمة أصلاً ولا تدل على صانع بل إنما تدل على الاتفاق . وهذا يدل عند ابن رشد على أن دلالة الموجودات عند الأشعرية ليست من حكمة تقتضى العناية ولكن من قبل الجواز ، أى من قبل ما يظهر فى جميع الموجودات أنه جائز فى العقل أن يكون بهذه الصفة وبضدها فى نفس الوقت ، ولو كان هذا الجواز على السواء فليس ها هنا حكمة ولا توجد موافقة أصلاً بين الإنسان وبين أجزاء العالم .(١)

هكذا حاول ابن رشد إثبات أن من الضرورى الاعتقاد بوجود الحكمة والغائية التى تسير بمقتضاها الموجودات فى هذا الكون كله سمائه وأرضه وان هذه الحكمة والغائية تستلزم الترابط الضرورى بين الأسباب والمسببات .

٢ – **موقفه من الغزالي** : لقد رفض ابن رشد مفهوم المعجزة الذي أورده الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة حين رأى أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة الذي يقع في دائرة الجواز ، وأن الإقتران بين السبب والمسبب أو بين المعجزة والتصديق بها هو اقتران جرت العادة عليه .

---

(١) ابن رشد : تهافت التهافت . ص ١٠٢ – ١٢٣ ، و د. عاطف العراقى : تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية ص ١١٦ .

وهذا يعني أن الغزالي يرجع العلاقة بين الأسباب والمسببات إلى العادة لا إلى الضرورة والحتمية .

ورأى ابن رشد أن المعجزات ليست هي جملة الأسباب والمسببات التي يجب أن تنتهي آخر الأمر إلى سبب أول لا مسبب له هو مبدأ الحركة والفعل في الكون ، وإلا أمكن وجود معلول لا علة له وهو محال ، ولا بات كل موجود بالعرض أو الاتفاق وفي ذلك ما فيه إنكار الحكمة في فعل أو مخلوقات الصانع .

كما رفض ابن رشد ربط الغزالي المعجزة بفكرة الإمكان والعادة وقال : إن لفظ العادة الذي يستخدمه الغزالي لفظ مموه وإذا حقق لم يكن تحته معنى إلا أنه فعل وضعي مثل قولنا : جرت عادة فلان أن يفعل كذا وكذا ، وهذا يؤدي إلى القول بأن الموجودات كلها وضعية وأنه ليس هناك حكمة أصلاً من قبلها ينسب إلى الفاعل أنه حكيم .[1]

ووصف ابن رشد قول الغزالي بأن المعجزات هي خوارق للعادات بأنه سفسطه و شعوذة لأنه قول يفيد أن الأشياء يمكن أن تتغير خصائصها دون نظام ومن هنا تكون كلمة العادة التي يقول بها الغزالي هي كلمة بغير ذات معنى ، وقد حاول ابن رشد التأكيد على ترابط العلل والأسباب بالوقائع والمعجزات لأن هذا الترابط وحده هو الذي يؤدي إلى الاعتراف بالحكمة والغائية في الكون كله سمائه وأرضه .

وأن هذا الترابط هو الذي يؤكد أن المعجزات وكذلك الخوارق لا تخرج على نظام الحتمية الكونية وليس كما يقول الغزالي الذي وضعها في دائرة الممكن وأن هذه الممكنات لا تحدث إلا عندما تتعطل الاسباب الكونية بقدرة إلهيه ، ورأى أبن رشد أن قول الغزالي بأن الممكن لا يستدعي موضوعاً وإلا لاستدعى الممتنع موضوعاً مثله بأنه قول سو فسطائي لأن الممتنع له موضوع يقابله وهو الموجود الذي يصح عليه كلا الإمكان ونقيضه أي الامتناع تبعاً لحاله الحقيقي ، ويتساءل ابن رشد متهكماً : كيف أجاز الغزالي لنفسه أن ينكر السببيه الطبيعيبة في حين أن الإيمان بها طريق رئيسي من طرق الإيمان بالله .

---

(١) ابن رشد : تهافت التهافت ص ١٠٢ – ١٢٣، . د. عاطف العراقي : تجديد في المذاهب الفلسفية ص ١١٦ – ١٧٧ .

وأكد ابن رشد أن المعجزات ليست من خوارق العادات لأن المعجزة لا تخـوق الحتمية الطبيعية ودليل ذلك عنده القرآن الكريم بوصفه المعجزة الحقيقية المتمـــيزة عن سائر المعجزات ، فالقرآن معجزة متوافقة مع العقل والسببية الكونية ، ويدلـــل ابن رشد على صحة هذا الرأى بأدلة منها أ- أن وجود المعجزات مرتبط بـالتصديق بالنبوات والرسالات . ب- أن التصديق بوجود الرســل وخالقــهم ضــرورة قبــل الإيمان والتصديق بالمعجزات والخوارق . ج- أن القرآن كمعجزة متميزة لم يكـــن خارقاً من طريق السماع أو الحس كانقلاب العصا حيــة ، فــهو يتمــيز بمناســبته لمقتضى الحال ، وأن النبى ﷺ لم يدع أحداً من الناس إلى الإيمان برسالته عـــن طريق تقـديمه خـــارقاً من خوارق الطبيعة ، وإذا كانت قد ظهرت على يد النبـــى ﷺ كرامات أو معجزات حســية فإنها لم تظهر إلا أثناء أحوالـــه ومــن غــير أن يتحدى بها .

ورأى ابن رشد أن الغزالى اعتمد فى فهمه للمعجزات والخوارق علـــى كلمــة مبهمة ليس لها معنى وهى كلمة العادة وأن القول بالعـــادة يتعـارض مــع القـول بالحتمية والضرورة . وحاول ابن رشد تفسير كلمة العادة التى فسر بـــها الغزالـــى المعجزة فقال : " إننا إذا حاولنا فهم هذه الكلمة نقترح لها ثلاث معان أو افتراضـــات منها : إما أن تكون عادة للفاعل للذى هو الله ، وإما أن تكون عادة للموجـــودات أو الحوادث ، وإما أن تكون عادة لعقلنا فى الحكم على الموجودات .

فإن كانت عادة عند الفاعل فذلك محال لأنه لا يمكن أن يكون لله عـــادة . وإن كانت عادة فى الموجودات ، فالموجودات ليســت ذوات نفـوس عاقلــة بــل هـــى موجودات طبيعية ، والعادة عند من لا نفس له هى طبيعة وقانون . وأمـــا إن كـــانت عادة لدينا نحن البشر ، أى من فعل عقلنا ، فـــالعقل ليـس شـيئاً سـوى قـوة إدراك الموجودات بأسبابها ، أى أن العقل هو مجموعة النواميس والقوانين التى تسير الكـــون . وعلى ذلك تكون السببية التى فى الكون هى نفسها السببية التى فى العقـــل ، وأن رفــع السببية إذن هو رفع للعقل وخرق للنظام وإبطال للعلوم . [١]

---

(١) راجع ذلك فى : تهافت التهافت . تحقيق ســـــليمان دنيـــا . ط٢ ١٩٧١ ص ١٠١-١٠٢ .
و د. عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ٧٨-٧٩-٣٤٩ .

ولم يتوقف نقد ابن رشد عند الغزالى والأشعرية بل حاول انتقاد بعض آراء المعتزلة رغم انه يعترف أن مؤلفاتهم لم تصل إلى بلاد الأندلس ولم يطلع عليها ورغم هذا فهو ينتقد الكثير من مواقفهم وآرائهم فى التأويل والوجوب العقلى ، ورأى ابن رشد أن المعتزلة أقل خطراً من الأشعرية التى كانت سبباً فى انتشار البدع لأن طريقتهم كما يقول ابن رشد لا تؤدى إلى اليقين الحقيقى فى وجود الله وأنها ليست طريقة عقلية تتوافق مع طرائق الفلاسفة والعلماء وليست هى بالطريقة الشرعية التى تصلح للجمهور .

ومع ذلك وجه ابن رشد نقده للمعتزلة وحاول إظهار مدى بعد المعتزلة عن طرق الصواب ورأى أنهم لم يحاولوا إيجاد نوعين من التعاليم أو التفاسير أحدهما لأهل الخطابة من العوام والآخر للخاصة من أهل البرهان أو العلماء ، وأن المعتزلة قد اخطأوا لأنهم حصروا أنفسهم فى منهج واحد هو تفسير الشرع على ضوء العقل ، والدفاع عن العقائد بالمنطق . ورأى ابن رشد أن المعتزلة قد تجاهلت الكثير من النواحى العملية والإنسانية التى عالجها الدين وأنهم أفسدوا على العامة إيمانهم .

وهذا الموقف النقدى لابن رشد من المعتزلة والأشاعرة والغزالى كان دعوة لأن يقف الخطابيون عند الظاهر وأن ينفذ أهل البرهان إلى الباطن وألا يصرحوا بالتأويل إلا لأهل التأويل وأن يحجبوه عن العامة حفظاً لإيمانهم .

رابعـــاً : المعجـــزة والســـببية عند العقـــاد :

لقد ظهر أثر الفلسفة الرشدية على العقاد بوضوح فى مســـألة الســـببية وفـــى غيرها من المسائل رغم ميله إلى رأى الأشعرى والغزالى فـــى كـــون المعجـــزات خوارق دالة على قدرة الله وإرادته وأنه ليس من الضـــرورى تـــلازم العلـــل مـــع معلولاتها أو الأسباب مع مسبباتها [١] وإذا كان العقاد قد لخص آراء ابن رشد فـــى المعجزة وأشار إلى احتمال تأثر فلاسفة الغرب بآرائه فى مســـألة الســـببية ومنـــهم الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم ، فإنه يعود لبحث مسألة السببية بشئ من التفصيـــل ويرد على ابن رشد اتهامه للغزالى بالجهل والسفسطة ، ويشرع فى تفســـر كلمـــة الاقتران والعادة والسببية التى قال بها الغزالى وغيره .

بدأ العقاد بحث مسالة المعجزة والسببية ببيان معنى المعجزة وحقيقتها والغايـــة منها ، وأثار عدد من التساؤلات حول طبيعة الأسباب ووظيفتها ومدى اســـتقلالها ، وهل يمكن أن تتغير نواميس الكون وقوانينه دفعة واحدة ؟

والمعجزة عند العقاد هى حدث أو شئ لا يخالف العقل ولكنه يخالف المـــألوف والمتواتر فى المحسوس ، فالمهم عند العقاد ليس مفهوم المعجزة ولكن مدى صدقـــها ووقوعها أو مدى لزومها ، ويقول العقاد إذا كان كل عمل من الأعمال خلق مباشـــرة فى إرادة الله فلا فرق فى حكم العقل بين وقـــوع المعجـــزة ووقـــوع المشـــاهدات المتكررة فى كل لحظة ، ولا يكون الاعتراض على المعجزة بأنها شـــئ يرفضـــه العقل أو لا يجوز التفكير فيه وإنما يكون الاعتراض الصحيح هو : هل هى وقعـــت فعلاً أم لم تقع ؟ ، وهل هى لازمة أو غير لازمة للإقناع [٢]

---

(١) راجع ما أورده العقاد فى مؤلفه عن ابن رشد " طبعة دار المعارف " سلسلة نوابـــغ الفكـــر العربى رقم "١" صفحات ٦٦-٧٠ ، ص ٧٦-٨٢ وكذلك ما أورده مـــن آراء فـــى الســـببية والخلق فى مؤلفه الفلسفة القرآنية وما آثاره من تساؤلات وآراء حـــول المعجـــزة وفائدتـــها وصلتها بقوانين الطبيعة وما أشار إليه فى كتاب : التفكير فريضة إنسانية فى الجزء الخـــامس من المجموعة الكاملة ص ٢٦٣ .

(٢) عباس محمود العقاد : الفلسفة القرآنية ص ١٨ .

ويشير العقاد إلى أهمية إدراك الغاية من وقوع المعجزة بعد التصديق بها وأهمية الاعتقاد الجازم فى إرجاع جميع الوقائع والأسباب إلى إرادة الله وحدها ، فإلى هذه الإرادة وحدها تعود الأسباب والمسببات وليس إلى لزوم الترابط الطبيعى بين الأسباب ومسبباتها .

ويوضح العقاد هذا المعنى فيقول : " فلا يمتنع عقلاً أن تقع المعجزة وإنما الذى يمتنع عقلاً أن تقع عيناً لغير ضرورة مع إمكان الاستغناء عنها إذا تبين أن إقناع المكابرين كان ممكناً بغيرها " .

ويحدد العقاد طريق البحث فى المعجزات وفهمها بالعديد من التساؤلات حول المعجزة وأسباب الكون فيقول : هل يمكن أن تتغير نواميس الكون وقوانين الطبيعة كلها دفعة واحدة ؟ . وعلى هذا التساؤل يجيب العقاد نعم يمكن ، ولا فرق فى ذلك بين تغييرها فى فترة ما وتغييرها فى جميع هذه الآفاق والأكوان ، ولكن الذى لا يمكن هو وقوع التغيير عبثاً مع إمكان اجتنابه والاستغناء عنه ، هكذا ينبغى أن يكون البحث فى حقائق المعجزات لأن تغيير الحوادث كلها فى قدرة العقل المطلق أهون من قضية عقلية مجردة يستوى فيها حساب الكثير وحساب القليل ، ولكن الشئ الذى لا يقع فى العقل المطلق هو العبث الذى لا يساغ فى العقل المطلق ولا فى سائر العقول .

ويبرهن العقاد على كون الخوارق بما فيها السحر والمعجزات والحيل لا تخرج جميعاً عن إرادة الله ، ووجوب وقوعها بعلمه وإرادته وإذنه ، لان أدلة العقل والنقل دالة على ذلك ، فالقرآن الكريم قد أشار فى غير موضع إلى الخوارق من باب الإعجاز أو من باب السحر وقد ردها كلها إلى السبب الأخير الذى ترجع إليه جميع الأسباب وهو إرادة الخالق وإذنه كما فى قوله تعالى " أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله " (١) ، وكما فى قوله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين

---

(١) آل عمران : ٤٩ .

ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنـــة فـلا تكفـر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بـــإذن الله " (١) .

فكان هاروت وماروت يفعلان ما يفعله أصحاب الحيل العجيبة وهـــم يقولـــون إنها من خفة اليد أو استهواء الأبصار وفتنة العقول ، وأيا كان ما فعلاه فالحكم فيـــه وفى جميع الخوارق أن العقل لا يمنع وقوعه منعه للمستحيل ، وأن المرجع فيه إلـى مطابقته للحكمة الإلهـية وضرورة التوسل به أو إمكان التوسل بغـيره فـى مقـام الإقناع . (٢)

ولقد حاول العقاد أن يكون موضوعياً فى حكمه وموقفه مـن مسـالة السـببية والمعجزة كما حاول وضع المسألة فى إطار الفهم العصرى للخـوارق والعـادات ، كما أشار إلى المعنى النسبى فى فهم هذه المسألة ومـدى ارتباطـها بقـدرة العقـل البشرى وتطور الزمان ، ويقول موضحاً هذه المعانى: قد نرى شواهد ومظاهر فـى عصر من المعجزات وبعد مرور سنين وتقدم العلوم تظهر أنها ليست خرقاً للعـادة وليست من المستحيل العقلى ، فالمعجزات قد تسمى فى عـرف المسلم بخـوارق العادات ولا يجوز لأحد أن ينكرها لأننا تعودنا فيما علمناه فى هذا العصـر علـى الأقل أموراً كثيرة كانت فى تقدير الأقدمين من خوارق العادات وهـى اليـوم مـن الممكنات المتواترة .

وهنا يشير العقاد إلى إمكان المعجزة واستمرارها على اعتبـار إنـها ليسـت بأعجب مما هو حادث اليوم من مكتشفات وعلوم واستحداث للقوانين والنظريـات أو ما هو مشاهد أمام الأبصار والبصائر ، فالمعجزة عند العقاد ليست هـى بمحتاجـة إلى قدرة أعظم من القدرة التى تشهد أو تشاهد . (٣)

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

(٢) عباس العقاد : الفلسفة القرآنية ص ١٨-١٩ .

(٣) عباس العقاد : التفكير فريضة إنسانية . المجموعة الكاملة ج٥ ص ٢٦٣ .

وإذا كان العقاد قد أبدى موافقته ضمنياً على رأي ابن رشد في المعجزة والسببية خاصة في كتابه الموجز عن حياة ابن رشد وفلسفته والذي أظهر فيه مدى إعجابه بالفلسفة الرشدية وأثرها في الفكر الغربي والعربي على السواء ، حتى أنه أشار إلى مدى المشابهة والتأثر بين رأى ديفيد هيوم الإنجليزي في المعجزة ورأى ابن رشد ، ورأى العقاد أن كلاهما لا يرى في المعجزة خارقة وأن أقوالهما في الأسباب متشابهة ، ومع هذا نراه في مؤلفه عن الفلسفة القرآنية يتعرض بشئ من التفصيل لمسألة السببية وعلاقتها بالخوارق وفيه نرى بوضوح ميل العقاد إلى رأى الغزالي والأشعري بل نرى أنه يحاول تبرير موقف الغزالي في مسألة السببية والمعجزات ويحاول تفسير كلمة الاقتران التي عرف بها الغزالي المعجزة ، ونراه يردد ما قاله الغزالي بوصفه رأى متوافق مع العلم ومشاهدات الحس .

ويؤكد العقاد هذه المعاني فيقول: أما مسألة الأسباب فالمعلوم أن الغزالي يرى أن الأسباب ظواهر تقرن أو تقارن بالمسببات وليست هي علتها وهو رأى يوافقه عليه العلم الحديث الذي يكتفي بوصف الظواهر ولا يدعي استقصاء عللها ، وأن الغزالي قد أجمل رأيه في مسألة السببية والمعجزة في كتابه تهافت الفلاسفة حيث قال : الإقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين فليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الأخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل : الرى والشرب ، والشبع والأكل والاحتراق ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وحز الرقبة والشفاء وشرب الدواء ، وإسهال البطن واستعمال المسهل وهلم جرا إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف ، وإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه فخلقها على التساوق لا لكونه ضروريات في نفسه غير قابل للفوت بل لتقدير ، ففي المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون حز الرقبة وإدامة الحياة مع حز الرقبة وهلم جرا ، إلى جميع المقترنات التي أنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته .[1]

---

(١) عباس العقاد : ابن رشد ط دار المعارف ص ٧٧.

ويؤكد العقاد على أهمية رأى الغزالي الذي أورده في تهافت الفلاسفة للسببية وكلمة الاقتران التي تجاهلها ابن رشد ويقول العقاد في كتابه الفلسفة القرآنية : من المتفق عليه اقتران الحوادث بالأسباب ، يقول بذلك العلماء والفلاسفة كما يقول به عامة الناس فى أقوالهم التى تجرى مجرى العادة ، فالأسباب موجودة لا خلاف فيها من أحد ولكن الخلاف الأكبر فى السبب ما هو وماذا يعمل ؟ وهل الأسباب العاملة عنصر مستقل فى الكون والحوادث المعمولة عنصر آخر يخالفه فى الكنه والقوة ؟ وهل السببية قوة تنتقل بين الأشياء والحوادث أم هى قوة خاصة لبعض الأشياء والحوادث ؟ .

ويجيب العقاد على هذه التساؤلات بتساؤلات أخرى تحمل معنى وفى نفس الوقت تضيف معاني جديدة إلى المقصود فيقول : لكل شئ سبب ما فى ذلك خلاف ولكن ما هو السبب ؟ هل هو موجد الشئ الذى خلقه ولولاه لم يخلق ؟ أم هو حادث سابق للشئ أو مقترن به يلازمه كما حدث على نسق واحد .

ويشير العقاد إلى ضرورة التلازم بين الأسباب والمسببات فيقول : أما أن السبب هو موجد الشئ فيمنعه فى العقل افتراضات قوية كأقوى ما يكون الاعتراض فى المسائل الفكرية ، فكل ما يقرره العقل وهو واثق منه أن سبب الشئ يسبقه أو يقترن به كلما حدث على نسق واحد ولكن السبق لا يستلزم الإيجاد ، ومثاله النور والصوت فى قذيفة المدفع فإن العين ترى النور قبل أن تسمع الأذن صوت القذيفة ، ولا يقول أحد أن النور هو سبب الصوت أو أنه هو سبب القذيفة ، وإن تكررت رؤيته وسماع الصوت بعده مئات المرات وغير ذلك من المتلاحقات التى تقترن على ترتيب واحد ولا يستلزم تلاحقها أن يكون السابق منها موجداً لما لحقه بأى معنى من معانى الإيجاد . (١)

ويؤكد الأستاذ العقاد فى غير موضع على أن سببية الكون الظاهرة يفسرها الوصول إلى سبب الحركة مع الاعتراف بأن هذه الظواهر تنسب إلى أسباب

(١) عباس العقاد : الفلسفة القرآنية ص ١٤،١٥،٦٤ .

تلازمها أو تقارنها ، وقد تكون هناك أسباب أخرى خفية لا نعلمها ولا نشاهدها وراء حدوثها ، ويوضح العقاد هذه المعانى بقوله : إن التلازم بين الأسباب والنتائج فى وقائع الطبيعة ليس تلازماً عقلياً كتلازم المقدمة والنتيجة فى القضايا العقلية ، وإنما هو تلازم المشاهدة والإحصاء ، وأن غاية ما نملكه فيه أن نسجل هذه المشاهدة أو هذا الإحصاء ، فحدوث الصوت من القذيفة يقع على التواتر كما نسمعه ، ولكن لا يلزم عقلاً من تسلسل الحوادث التى تقع مع القذيفة أن نسمع ذلك الصوت وإنما تستلزم حدوثه لأنه قد حدث قبل ذلك مرات ولا زيادة على ذلك فى دواعى الاستلزام ، فكل ما هنالك من ظواهر وأسباب طبيعية إنما هو مقارنات فى الحدوث أى اقتران " كما ذهب الغزالى " ولا تفسير فيها أمام العقل بتعليل الإيجاد .

وقد ظهرت أشعريه العقاد فى موقفه التوفيقى بين رأى الفلاسفة والغزالى عندما يقول : إن العقل ينتهى فى مسألة الأسباب إلى نتيجة واحدة تصح عنده بعد كل نتيجة وهى : أن الأسباب ليست هى موجدات الحوادث ، ولا هى مقدمة عليها بقوة تخصها دون سائر الموجودات ولكنها مقارنات تصاحبها ولا تغنى عن تقدير المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع الكائنات .

وفى هذا الموقف يستشهد العقاد برد الغزالى على الفلاسفة مؤكداً ميله إلى رأى الغزالى فى مسألة السببية والمعجزة ، فهو يرى أن رأى الغزالى لا يختلف كثيراً عن آراء بعض الفلاسفة المحدثين وأصحاب العلوم أمثال نيوتن و هيوم وديكارت وغيرهم خاصة فى مسألة السببية ويردد العقاد رأى الغزالى ورده على الفلاسفة حين يقول : إن الخصم يدعى أن فاعل الاحتراق هو النار فقط وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار ، فلا يمكنه الكف عن ما هو طبعه ، ولكن هذا غير صحيح ، إذا أن فاعل الاحتراق الحقيقى هو الله تعالى بواسطة الملائكة أو بغير واسطة ، أما النار فهى جماد لا فعل لها ، وليس للفلاسفة من دليل على قولهم إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاه النار والمشاهدة تدل على الحصول عنده ولا تدل على الحصول به (١) .

---

(١) عباس العقاد : فى الفلسفة القرآنية ص ١٥ .

ولكى يثبت العقاد أن اقتران الحوادث وتلازم العلل المشاهدة ليس دليلاً على معرفة السبب وتحديده وأن المعلولات يمكن أن تحدث بغير علل حسية مشاهدة أو معروفة ، لجأ العقاد إلى إثبات مدى موافقة نظريات العلم مع أقوال السابقين وخاصة الغزالى فيقول العقاد : ويقرب من رأى الغزالى هذا قول نيوتن صاحب مذهب الجاذبية فإنه يضرب المثل بجسم يتحرك من ألف باء ومن باء إلى جيم ومن جيم إلى الدال ، فلا يمكن أن يقال فى هذه الحالة أن حركة الجسم من ألف إلى باء هى سبب حركاته التالية من باء إلى جيم أو من جيم إلى الدال . ويشبه هذا المثل أصحاب ديكارت عن ساعة تدق وساعة أخرى تدق بعدها على الدوام ، فلا يمكن أن يقال أن دقات الساعة الأولى هى سبب منشأ لدقات الساعة الثانية ، وهكذا كل تلاحق فى الحوادث والمشاهدات .

ويستشهد العقاد على عدم التلازم الضرورى بين الأسباب والمسببات برأى ديفيد هيوم فى السببية فيقول : وقد ظهر الفيلسوف الإنجليزي هيوم بعد هؤلاء فبسط القول في مسألة السببية بسطاً وافياً يفسر هذه الآراء المهملة ولا يخرج عن فحوى ما قدمناه ، فإننا إذا نظرنا للأسباب الكبرى تعذر على العقل أن ينسب الظواهر الطبيعية إلى هذه الأسباب التى تلازمها ثم يقف عندها ، فمن العسير على العقل أن يسلم أن الظواهر المادية هى أسباب الحوادث بطبيعة مستمدة منها ملازمة لها مستقرة فيها ، لأن التسليم بهذا تسليم بوجود مئات أو ألوف من المادات كلها خالد وكلها موجود بذاته وكلها مع ذلك مؤثر فى غيره وهذا مستحيل .

وهكذا أثبت العقاد أن الأسباب الطبيعية ليست هى وحدها موجدات الحوادث ولا هى مقدمة عليها بقوة تخصها دون سائر الموجودات ولكنها مقارنات تصاحبها ولا تغنى عن تقدير المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع الكائنات وهو الله ، وهذا ما يؤكده العقاد حين يقول : والذى ينساق عندنا فى مساق العقل أن الحوادث كبيرها وصغيرها لا يمكن أن تحدث إلا بأمر الخلق المباشر من إرادة الله فلا

ينساق عندنا فى مساق العقل أن الحادثة تحدث بفعل الأسباب أو النواميس ثم بفعل الإرادة الإلهية ، لأن الناموس لا يملك وحده قدرة الانطباق والتوافق التى يسببها الحوادث " ألف حادث " على نسق واحد ولابد له من القدرة التى يتابع بها هذا التسبب مرة مرة وحادثاً حادثاً بلا فرق هنا بين الجملة والتفصيل ، فلا فرق بين الحادث الذى يقع مرة واحدة والحادث الذى يقع ملايين المرات فكلها تتوقف فى بادئ الأمر على إرادة الخلق والإنسان . (١)

(١) عباس العقاد : الفلسفة القرآنية ص ١٥،١٨ .

المبحث الرابع

في المعجزة والكرامة

مفهوم الكرامة اللغوى والاصطلاحى
الفرق بين المعجزة والكرامة
آراء في المعجزة والكرامة
نماذج من المعجزات والكرامات

المعجزة والكرامة

أولاً : مفهوم الكرامة اللغوى والاصطلاحي :

- الكرامة فى أصلها اللغوى اسم مشتق من الكرم الدال على علو القدر والمنزلة والميل إلى العطاء والإكرام .
- والكرامة صفة وعلامة دالة على الزيادة والفضل والوفرة وحب الخير ، فالمكرمة فعل الخير وهى العطية السخية .
- والكرامة اسم جامع لمعانى الفضائل الخلقية فجمعها مكارم وإكرامات ومن ثم جاء النبى ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق .
- واستدل اللغويون بالمعانى الإشتقاقية عليها بمعانى الكرم والإكرام وما يدل عليه من الجود والعطاء ، فكرم السحاب مطره الوفير ، والأرض الكريمة او المكرومة هى الأرض الطيبة جيدة النبات .
- وهى اسم مشتق من لفظ الكريم ، والكريم اسم من أسماء الله الحسنى الدال على فيض الله وعطائه فهو تعالى ذى الجلال والإكرام ، ومنه وجة كريم وكتاب كريم . (١)
- والكرامة فى معناها الإصطلاحى : هى الأمر الخارق للعادة غير المقرون بالتحدى ودعوى النبوة ، وهى الأمر الذى يظهره الله على أيدى أوليائه إكراماً لهم .
- فهى علامة وإشارة على صلاح الأولياء وعلو قدرهم ، وهى الجزاء الدنيوى لهم على تقواهم وطاعتهم وإخلاصهم لله .

---

(١) راجع معنى الكرامة اللغوى فى المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٨٤ - ٧٨٥ ، وفى المختار الصحاح ص ٥٦٨ .

- وهى الآية الدالة على حب الله وعظيم فضله على أنبيائه وأوليائه فهو تعالى يكرم من يشاء بما شاء من صور الإكرام . وهذا الكرم الإلهى يظهر فى العديد من الصور منها :

١ - الإكرام العام للبشر وتفضيلهم على باقى المخلوقات والجمادات فهى فضل وكرم إلهى عام كما فى قوله تعالى :" ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ". (١)

٢ - ومنها الإكرام بالرزق والتوسعة والعلم والحكمة للصالحين والطائعين ، كما فى قوله تعالى : " واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم" (٢) وفى قوله تعالى : " يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً " (٣). وفى قوله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب " (٤) فتلك جميعاً صور من الإكرام العام للصالحين والمتقين تقع لهم كرامة .

٣ - ومنها المكافأة والآية الدالة على قدرة الله وعظمته للصالحين والمقربين من خلقه ، فكان الكرم الإلهى منزلة ودرجة من درجات الحب الإلهى والفضل والنعمة الإلهية للأولياء ، مع الإجماع على أنه لا يجوز أن تخرج الكرامات على حدود الشرع وأحكامه . وفى ذلك روى يونس بن عبد الأعلى الصفدى : قلت للشافعى : كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء لا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة ، فقال الشافعى : قصر الليث رحمه الله ، بل إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويطير فى الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .

- والكرامة فى معناها الإصطلاحى العام قد تتشابه وتشترك مع المعجزة فىكثير من النواحى وهذا التشابه كان سبباً فى اختلاف آراء الفرق وتعدد الآراء والإهتمام ببيان أوجه التمايز أوالتشابه بين المعجزات والكرامات .

---

(١) الإسراء : ٧٠ .
(٢) البقرة : ٢٨٢ .
(٣) البقرة : ٢٦٩ .
(٤) الطلاق : ٣ .

وكان المعتزلة فى مقدمة الفرق التى لم تفرق بين المعجـزات والكرامـات ، ورأوا أن المعجزات والكرامات على السواء لا تكون إلا للأنبياء فقط ، ومن ثم فقد أنكروا وقوع الكرامات للأولياء وقالوا أنها تشتبه بالمعجزة .

وقد اختلفت الفرق الكلامية حول مسألة الجواز والإمكان للمعجزات والخوارق ومنها الكرامات فأجاز الأشعرية والما تريدية والصوفية والشيعة وقوع الكرامـات ، واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية عديدة وبما جاء به الخبر عن صاحب سليمان الـذى أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى الشام فى طرفة عين أمام سليمان ﷺ كما استدلوا برؤية عمر بن الخطاب للجيش وهو على منبره أثناء المعارك فى نهاوند .

والتشابه بين المعجـزات والكرامات والارتباط بينهما واقع من حيث :

١ – أن كلاهما قبس من الوحى الإلهى ودليل قدرة الله وعظمته ودليل قرب النبـى ﷺ أو الولى من الله .

٢ – أن كلاهما كرم من الله وفضل ومكافأة ودليل صدق وإخلاص كل مـن النبـى ﷺ والولى فى عبادته .

٣ – أن كلاهما وسيلة ومجال لإعتراف الإنسان بعجزه واحتياجه لقدرة الله .

٤ – أن كلاهما يحدث بأسباب باطنة غير ظاهرة أو معلومة وليس لهما دليل علمـى أو أسباب معروفة يمكن تحصيلها .

٥ – أن كلاهما من وسائل الإنقاذ ودليل العصمة والمعاونة فى مواجهة المعـاندين والمكذبين . ولذا تكون المعجزات والكرامات للتصديق والاطمئنان .

٦ – أن كلاهما من الممكن وليس من المستحيل عقلاً وقوعها فالقوم فى كل عصـر يسمعون ويشاهدون ويقرون بوقوعها ، فكلاهما من الممكن العقلـى الخـارق لمجرى العادات الكونية . والفارق بينهما أن ما يدل على صدق الأنبيـاء فـهو المعجزة وما يظهر على الأولياء فهو الكرامة .

٧ – أن كلاهمـا من فعل الله عـز وجـل فلا يستطيع بشر الإيتان بمعجـزة ولا بكرامة .

٨ - أن كلاهما ناقض للعادة وآية من آيات الله الدالة على قدرته وعظمته فهى تفوق قدرات العقل وإمكانات البشر ، فكلاهما ناقض للعادة ودليله منع زكريا عليه السلام من الكلام ثلاث ليال بعد أن كان معتاداً له للدلالة على صحة ما بشر به من الولد .

٩ - أن كلاهما مما يحتاج إليه البشر ، فالناس والصالحون والأنبياء جميعاً فى حاجة للمعجزات وكذلك للكرامات ، كدليل صدق وعناية ، وهم فى حاجة ماسة لهما معا لتتحقق الهداية وصدق المعتقد ، ومع ذلك فإن البشر فى عمومهم ليسوا فى حاجة إلى الكرامة التى تخص فرداً بعينه وتناسب موقفاً بعينه بل إن البشر فى حاجة إلى المعجزة .

ومع ذلك فكلاهما متوافق فى غايته العامة من حيث المقارنة بالسلوك العام وإدراك العقل وكسب الرزق والمعرفة والعلم والتأمين بالنصر ، فحصول العلم غاية وكرامة لقوله تعالى : واتقوا الله ويعلمكم الله "[١] والإنقاذ وحصول الفرج وكسب الرزق كرامة لقوله تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب " .[٢]

وتحقق الفلاح والنصر كرامة للمؤمن لقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . "[٣]

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٢) الطلاق : ٣ .

(٣) محمد : ٧ .

ثانياً : الفرق بين المعجـزة والكرامة :

إذا كانت الكرامة هي الاسم الجامع لمعاني الفلاح والنصر ، والرزق والصحـة والإنفاذ والمعرفة ، والعلم الوفير والحكمة ، وأنها الدليل على الإخلاص في العبـادة والولاية لله وصدق الإيمن والتقوى فإن المعجزة تتميز كثيراً عن الكرامة والفـرق بينهما يتضح في كثير من الجوانب منها :

١ - **من حيث الوجوب** : فإن المعجزة واجبة والكرامة ممكنـة ، ودليـل ذلـك أن الإعتقاد بالمعجزات واجب والحاجة إليها ضرورة فهى دلائل النبـوة وسـبيل انتشار الدعوة وتكاثر الأتباع ، ومن ثم كان الناس فى حاجة إلى المعجزة أكثر من الكرامة ، ولذا كان الوجوب شاملاً لصاحب المعجزة وأتباعه ، فصـاحب المعجزة تجب طاعته وتصديقـه والإيمان بدعوته ، أما صاحب الكرامة فليس بواجب طاعته .

٢ - **من حيث العموم والخصوص** : فإن المعجزات عامة فهى الأصـل والكرامـة خاصة وهى الفرع ، ودليل ذلك أن المعجزات كالقرآن مثلاً قد اشتمل علـى كرامات عديدة فالكرامة فرع لا يرقى لأصل بحال ، ولأن المعجزات للرسـل والأنبياء فقط ويصاحبها دعوة عامة وتصديق وأتباع كثيرون يؤمنون بها ، أمـا الكرامات فخاصه بالرجل الصالح وحدة ولا يصاحبها دعوة عامة أو رسـالة ، وهى تعنى أن الأولياء والصالحين تابعين مخلصين للأنبياء .

٣ - **من حيث العصمة** : فإن صاحب المعجزة معصوم عـن الكفـر والمعـاصى وارتكاب المخالفات خاصة بعد ظهور المعجزة عليه ، أما صـاحب الكرامـة فليس بمعصوم لجواز تبدل أحواله قبل أو بعد ظهور الكرامة عليه . من أجـل ذلك كان الإجماع على أن العصمة هى المعيار للتمييز بين المعجـزات التـى للأنبياء وبين الكرامات التى للصالحين والأتقياء ، واسـتدلوا علـى عصمـة النبىﷺ بسلامته وسلامة معجزته عن المعارضة وحفظها حتى قيام الساعة .

٤ – **من حيث الظهور** : فإن المعجزة واجب ظهورها والإعلام بها من أجل التصديق والتبليغ والإيمان ، أما الكرامة فالأصل فيها الإخفاء والكتمان ، لذا قيل إن المعجزة لا يكتمها صاحبها بل يظهرها ويتحدى بها في حين أن صاحب الكرامة يجتهد في كتمانها لاحتمال عدم التصديق بها أو حسده عليها . فوجوب الظهور للتحدى أما الكرامات فلا يتحدى بها وربما كتمها صاحبها .

٥ – **من حيث الطلب** : فإن المعجزة لا تطلب والكرامة تطلب في الغالب وقيل العكس, أى أن الكرامة تطلب ولا يطالب الناس بها الولي أو الشخص الصالح أما النبى ﷺ فيطلب أصحابه الدليل على نبوته ، ومثال ذلك رد القرآن الكريم على الذين طلبوا المعجزات من النبى ﷺ بتفجير الأرض ينابيع أو تحويل جبل الصفا ذهباً كما في قوله تعالى :" وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون " [1] كما في قوله تعالى : " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكه قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً . [2] فكانت الآيات دالة على أن المعجزات لا تأتى بطلب أو رجاء من الرسول أو من البشر . بدليل قوله تعالى : " قالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين " [3]

لذلك كانت نسبة المعجزات والكرامات إلى الأنبياء والصالحين من المجاز لأن فاعلها الحقيقى هو الله وليس للأنبياء أو الأولياء دخل فهى تجرى لهم بغير طلب منهم فى الغالب .

٦ – **من حيث الصدق** : فإن المعجزات تقع للأنبياء دليلاً على صدقهم ، وكذلك الكرامات تقع للأولياء الصادقين ولا يجوز ظهورها على الكاذبين ، لذا كان

---

(١) الانعام ٣٧ .

(٢) الإسراء ٩٠/٩٣ .

(٣) العنكبوت ٥٠.

الإجماع على جواز ظهور الكرامات على الأولياء وجعلوها دلالة على الصدق فى أحوالهم كما كانت معجزات الأنبياء دلالة على صدقهم وصدق دعواهم .

٧ – **من حيث التكرار** : فإن المعجزات لا تتكرر أما الكرامات فيمكن تكرارها ودليل ذلك أن المعجزات قليلة العدد وهى مرتبطة بالأنبياء والرسل أما الكرامات فترتبط بجميع الصالحين أو المقربين من الأولياء وكذلك الأنبياء فلهذا يمكن تكرارها ، قيل لابد للنبى ﷺ من معجزة واحدة تدل على صدقة وتؤيد دعوته ، فإذا ظهرت وعجزوا عن معارضته فقد لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه وطاعته ، وإن طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله عز وجل إن شاء أيده بها وإن شاء عاقب الطالبين له بها لتركهم الإيمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه .

ومن هنا كان الإجماع على أن الكرامة لا ترقى إلى درجة المعجزة بحال ولا تحتاج إلى ضرورة للتصديق أو الإقرار ، وأن المعجزات يستحيل الإيتان بمثلها أو معارضتها أو تكرارها أما الكرامة فيمكن معارضتها وتكرارها بل وإنكارها .

٨ – **من حيث الوقت** : فإن المعجزات تكون مصاحبة للرسول أو النبى ﷺ فى وقت دعوته فقط ومحددة بزمن بعثته ، أما الكرامة فيمكن أن تكون قبل البعثة أو بعدها ، ولأن الكرامة للأولياء والصالحين وللرسل أيضاً فهى لا ترتبط بوقت محدد وليس من شرطها أن تكون خارقة للعادة فيمكن تكرارها أى وقوعها عند الحاجة . ومثالها حلب الشاه وشفاء المرضى ، واستجابة الدعاء ، وما وقع لمريم والصالحين من رزق وطعام بركة وكرامة .

٩ – **من حيث الكسب أو الاستطاعة** : فإن المعجزات لا تكتسب أما الكرامات فيمكن اكتسابها بالأعمال الصالحة والإخلاص فى العبادة والصدق فى الأقوال والأفعال وزيادة الإيمان والتقوى ، وتكون استجابة الدعوة علامة وكرامة ، وتكون الاستقامة والنجاح علامات وكرامات أو مقدمات لحصول الكرامة . ولهذا قيل أن المعجزة استحالة أما الكرامة فهى استطاعة ..

١٠ - **من حيث الدعوة والحاجة :** فإن المعجزة لابد أن يصاحبها دعوة للتوحيد والإيمان بالله والرسول ، أما الكرامة فلا يصاحبها دعوة من النبى أو الرجل الصالح فهى مجرد علامة أو دلالة على الصلاح والتقوى ، ومن ثم كانت المعجزات للأنبياء وكانت الكرامات للأولياء الصالحين . [١] وكانت الحاجة إلى المعجزة ماسة سواء للنبى أو أصحابه أو عامة البشر ، فبدونها لا تكون دعوة ولا تصديق ولا إيمان فالمعجزة دعوة وحجة ودليل لا يدانيه شك وهى دليل القدرة ودليل وجود الحق وعظمته .

١١ - **من حيث الحكمة والغاية :** فإن المعجزة ذات مغزى وغاية وفائدة عامة أما الكرامة فمجرد واقعة وعلامة وفائدتها خاصة لفرد بعينه تخصه . وغاية المعجزات تنبيه العقول وإكساب المعارف والعلوم ، ووقوعها والتحدى بها يكبح التكبر والغرور ويؤكد ضعف المخلوق وعجزه أمام قدرة الله وعظمته . فالمعجزة ومثالها القرآن غايتها هداية البشر وحفظ حياتهم وتنظيم شئونهم ، وبيان طريق سعادتهم ، فالقرآن آية وليس مجرد خارقة كما أكد ابن رشد وغيره من الفلاسفة ورجال الكلام .

---

(١) مناع القطان . مباحث فى علوم القرآن ص ١٧٧-١٧٨ وفى النبوة والأنبياء د. على عبد الفتاح المغربى ص ١٢٦-١٣٠. وفى الفرق بين الفرق للبغدادى ط بيروت ص ٣٤٤-٣٤٥ ، ط القاهرة ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

ثالثاً : آراء فى المعجــزة والكرامة :

١ - رأى ابن رشــد :

أكد ابن رشد أن المعجزة يجب أن تتميز عن الكرامة كخارقة من الخـــوارق ، وأن المعجزة لا يمكن أن تكون حادثة فردية كالكرامة التى تحدث للأولياء ، وأكـــد ابن رشد أيضاً أن الكرامات والخوارق ليست هى المعجزات لأن المعجزة هى آيـــة مقنعة وصادقة بذاتها وأنها ترتبط بالرسالة والدعوة الدالة على قدرة الله .

ولقد حرص ابن رشد على بيان الفرق بين المعجزة والخارقـــة وعلاقـــة كـــل منهما بالرسالة والنبوة والتصديق وأكد أن صاحب المعجزة غايته معرفة الحق فـــى دعوته وإثباتها وليس مجرد رؤية الخوارق ، وان القرآن الكريم كمعجزة يتميز عـــن خوارق الحس وكرامات الأولياء ، كما حرص على إثبات أن المعجزة سواء عقليـــة أو حسية يجب أن تتوافق مع أحكام الضرورة والعقل والحتمية .

وأكد أنه إذا كانت الخوارق كالكرامات تقع فى دائرة الممكن فـــإن المعجـــزات لابد أن تقع فى دائرة الواجب العقلى البعيد عن الممكن والمحتمـــل ،لأن المعجـــزة كأية لا مثيل لها ولا يقدر البشر الإيتان بمثلها .

وينبه ابن رشد إلى أن الفهم العام له دور فى الحكم على المعجزة أو الخارقـــة إذا أدرك الغاية على الحقيقة واستطاع التمييز بين صاحب المعجزة والكرامة وعمـــل كل منهما ووظيفته ، وهذه المعانى قد أشار إليها ابن رشد بوضـــوح فـــى كتابـــه : الكشف عن مناهج الأدلة حين قال : إن المعجزة علامة خارجية قد تؤكـــد وجـــود الرسالة وأن صاحب المعجزة نبى مرسل غير أنها ليست دليلاً على صحة رســالته ، وعامة الناس ترى فى المعجزة دليلاً إلا أن الدليل الوحيد الذى يثبت صدق رســـالة من الرسالات هى الشرائع نفسها التى تتضمنها تلك الرسالات والحقائق التى تكشـــفها للناس وما يكون فيها من صلاح وخير لهم والمثال على ذلك رجليـــن كـــل منـــهما يدعى الطب ، أحدهما يبرهن على صدق دعواه بأن يبرئ المرض والثـــانى يثبـــت دعواه بأن يسير على الماء ، فالسير على الماء أمر خارق ومعجزة ولكنه ليس دليلاً

على أن صاحبه طبيب . ويرى ابن رشد أن المعجزات خاصة بالأنبياء فقط أما الكرامات فقد تخص الأولياء وهى لا تدل على قدرة صاحب الكرامة ، لأن المعجزة الحقيقية هى الشريعة التى يؤيدها العقل ويقر بها .

وأن أساس النبوة والدعوة أو الرسالة هو أساس التمييز بين المعجزة والكرامة . فالمعجزة عنده وحى وأحكام وشرائع أما الأولياء فلا تدل أفعالهم على معجزات ، وهذا هو الأصل الأول والأساس الذى عليه يقوم التمييز بين المعجزات والخوارق أو الكرامات .

ويفصل ابن رشد ذلك فى مناهج الأدلة حين يقول : إن الأصل الأول لا يفهم تماماً إلا بالتفرقة بين الخارق الذى من نفس وضع الشرائع والخارق الذى ليس من نفس وضعها ، وذلك أن الخارق للمعتاد ، إذا كان خارقاً دل على أن وضعها لم يكن بتعلم وإنما كان بوحى من الله وهو المسمى نبوة ، وأما الخارق الذى ليس من نفس وضع الشرائع مثل انفلاق البحر وغير ذلك فلا يدل دلالة ضرورية على هذه الصفة المسماة نبوة وإنما تدل إذا اقتربت إلى الدلالة الأولى ، وأما إذا أتت مفردة (كالكرامة) فلا تدل على ذلك .. فالأولياء مثلاً لا تدل أفعالهم على معجزات لأنها تأتى مفردات ، أما الخارق الذى يدل دلالة قطعية فليس موجوداً لهم لأنهم ليسوا بأنبياء أو أصحاب رسالات ليكون لهم معجزات ، وعلى هذا النحو يجب أن يفهم الأمر فى دلالة المعجز على النبوة وأما المعجز فى غير ذلك من الأفعال فشاهد لها أو مقر . (١)

وعند مراجعة شروط المعجزة التى وضعها ابن رشد تظهر الفروق الجوهرية بين المعجزات والكرامات كمثال لخوارق الحس التى تظهر على أيدى الأولياء والمتقين أو أعمال السحر والشعوذات كنوع من خوارق الحس ، وكلها شروط تؤكد اتصال المعجزات بالنبوات والشرائع ومصالح البشر وليست مجرد علامات .

---

(١) ابن رشد : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص ٢١٦ وفى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد . د. عاطف العراقى ص ٣٥٣-٣٥٦ .

٢ – رأى البغـدادى فى أصول الدين :

ذهب الإمام أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى ت ٤٢٩هـ إلى أن المعجزات والكرامات جميعها متساوية فى كونها ناقضة للعـادة ، غـير أن الفرق بينهما من وجهين : أحدهما تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة وتسمية ما يظهر على الأولياء كرامة للتمييز بينهما . والوجه الثانى : أن صاحب المعجـزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ، ويقـول : إن لـم تصدقونـى فعارضونى بمثلها ، أما صاحب الكرامة فيجتهد فى كتمانها ولا يدعى فيـها ، فـإن أطلع الله عليها بعض عباده كان ذلك تنبيهاً لما أطلق الله عليها على حسـن منزلـة صاحب الكرامة عنده أو على صدق دعواه فيما يدعيه من الحال . والفرق الثـالث – كما يقول البغدادى – هو أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عـن الكفـر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه ، أما صاحب الكرامة لا يؤمن تبديل حاله .

ويرد البغدادى على إنكار القدرية للكرامات : ويميز بين الكرامـة والمعجـزة والمعونة على أساس أن المعجزة تكون للأنبياء ، ولأن الكرامات تكون للأوليـاء وأن المعونات تكون لسائر العباد ، ويقول فى رده على القدريـة : " وأنكـرت القدريـة كرامات الأولياء لأنهم لم يجدوا فى أهل بدعتهم ذا كرامة فأنكروا ما حرموه بشـؤم بدعتهم وظنوا إن اجازة ظهور الكرامة للأولياء يقدح أو يطعن فى دلالة المعجـزة على النبوة . وقلنا لهم : ليست دلالة المعجزة مقصورة على النبوة ، وإنما هى دلالـة الصدق ، فتارة تدل على الصدق فى النبوة وتارة تدل على الأخلاص والصدق فـى الحال وعلى أنه لا رياء فيها ، فإن قيل أجيزوا على هذا القيـاس ظـهورها علـى الناس للدلالة على صدقه فى بعض ما يصدق فيه ، قيل إن أظهر الله له علامة تـدل على صدقة وبراءة ساحته مما يقذف به جاز ذلك وسـميناها حينئـذ معونـة ، لأن المعجزات تكون للأنبياء والكرامات للأولياء والمعونات لسائر العباد . (١)

---

(١) البغدادى : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى ت ٤٢٩هـ : كتاب أصول الدين ط . دار الكتب العلمية بيروت ط ٣ ١٩٨١ ص ١٧٣-١٧٧ .

٣ – رأى الشهرستانى فى نهاية الإقـدام :

جمع الشهرستانى بين المعجزة والكرامةعلى اعتبار أن كلاهما خارق للعـادة وان كلاهمامن إكرامات الله وخيره الوفير ، وأن الكرامات دالة علـى المعجـزات ومصاحبة لها ، وان الكرامات فى حقيقتها هى قربات ونوافل وعلامات على رضـى الله بالصالحين والمؤمنين والمتقين .

وأورد الآيات القرآنية الدالة على ذلك ونماذج من هذه الكرامات فقال : " وأمـا كرامات الأولياء فجائز عقلاً ووارد سمعاً ، ومن أعظم كرامات الله تعـالى علـى عباده : تيسير أسباب الخير لهم وتعسير أسباب الشر عليهم . وحيثما كان التيسـير أشد وإلى الخير أقرب كانت الكرامة أوفر .

وما ينقل عن بعضهم من الخوارق وصح النقل وجـب التصديـق ولا يجـوز الإنكار عليه .

- أليس قد ورد فى القرآن قصة عرش بلقيس وقول ذلك الولى : " أنا آتيك به قبـل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى " (١) .
- أو لم تكن قصة أم موسى ومريم أم عيسى عليه السلام ، وما ظهر لهما من الخـوارق من القاء موسى عليه السلام فى اليم كرامة لها ، ورزق الشتاء فـى الصيـف ورزق الصيف فى الشتاء وظهور النخلة فى الصحراء من أعظم الكرامات لمريم عليها السلام .
- وما ينقل عن صالحى هذه الأمة أكثر من أن يحصى ، وهى بآحادهـا إن لـم تفدنـا علماً قطعياً ويقينا صادقاً بأن خوارق العادات قـد ظـهرت علـى أيـدى أصحـاب الكرامات .
- واعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولى فهى بعينها معجزة النبى إذا كان الولى فـى معاملاته تابعاً لذلك النبى ﷺ ، وكل ما يظهر فى حقه فهو دليل على صدق أسـتاذه

---

(١) الشهر ستانى : عبد الكريم الشهر ستانى فى نهاية الإقدام فى علم الكلام . حرره وصححـه الفريد جيوم . ط مكتبة المثنى ، بغداد. ص ٤٩٧-٤٩٩

وصاحب شريعته ، فلا تكون الكرامة قط قادحة فى المعجزات بل هى مؤيـــده لـــها دالة عليها راجعة عنها وعائدة إليها .

- وقد قال النبى ﷺ يكون فى أمتى ما كان فى الزمان الأول حذو القذة بـــالقذة والفعـــل بالفعل حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .

- والكرامات قربات ونوافل وعلامات على رضى الحق سبحانه ، قال تعالى : " يا أيـــها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم " . (١) فأى كرامة تزيد على نيل الفرقان بين الحق والباطل وسبيل النجاة والهلاك .

وفى الخبر : لو عرفتهم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذى ليس معه جـــهل ولـــو عرفتم الله حق معرفته لزالت الجبال بدعائكم ، وما أوتى أحد من اليقين إلا أوتى أكـــثر مما أوتى .

- وفى الخبر ان عيسى عليه السلام كان يمشى على الماء ، قال ﷺ لو ازداد يقيناً لمشـــى على الهواء . (٢)

٤ - رأى ابن حـــزم فى الأصول والفروع :

لقد حرص الإمام ابن حزم على التمييز بيـــن معجـــزات الأنبيـــاء وكرامـــات الصالحين والأولياء ، كما أخذ موقفاً نقدياً من آراء بعض الفرق المخالفـــة وخـــص منها فرقة الصوفية لأنها جوزت إمكان المعجزات والخوارق لغير الأنبياء .

ورأى ابن حزم أن تجويز الصوفية للصالحين والأوليـــاء الإتيـــان بـــالخوارق كالمشى على الماء أو إحداث الطعام أو خرق الهواء وما أشبه ذلك لقوم صـــالحين هو موقف معارض لموقف الجمهور من السنة والسلف وباقى الفرق التى تمنع ذلـــك لغير الأنبياء .

واستدل ابن حزم بشروط المعجـــزة، كشـــرط التحـــدى والتصديـــق لإثبـــات خصوصية المعجزات للأنبياء وقال : إن الله عز وجل أبان (أيد وخص) الأنبيـــاء

---

(١) الأنفال : ٢٩ .

(٢) الشهرستانى : نهاية الأقدام فى علم الكلام . ص ٤٩٧-٤٩٩ .

عليهم السلام بالمعجزات الدالة على صدقهم ، المفرقة بين دعوى المدعين وبين نبيهم ، فلو جاز أن يأتى بهذا الأمر أحد سواهم لما كان فيه دليل على صدقهم .

ومن الملاحظ أن رأى ابن حزم فى تقديم معجزة القرآن العقلية على باقى المعجزات والخوارق أنه متوافق كثيراً مع رأى ابن رشد خاصة انتقاد ابن حزم لمن قدموا شرط التحدى كشرط لازم لحدوث المعجزة والتصديق بها ، كما حرص ابن حزم على التمييز بين معجزات الأنبياء وكرامات الصالحين والأولياء .

ويرى ابن حزم أن هذا الشرط دعوى بلا دليل لأن النبى ﷺ لما نبع الماء من بين أصابعه قال : أشهد أنى رسول الله تنبيهاً على هذه المعجزة وأنها تشهد له بالرسالة دون أن يتحدى بمثل ذلك أحداً كذلك فإن الله عز وجل يسمى هذه الخوارق آيات ، والآيات لا تكون إلا للأنبياء بلا خلاف من أحد ، أما أهل الصلاح فلهم الدعاء ، وما له من إمكان الاستجابة من الله لدعائهم كالدعاء فى مغفرة الذنوب وقرة العين فى الأهل والولد ، وبسط الرزق ودفاع الملمات وما أشبه هذا مما قد علمنا وجه الدعاء فيه ، وأما من دعا فى خرق عادة فهو عاص لأنه دعا فيما لم يؤمر بالدعاء فيه ولا أحوج إليه فهو بالإثم والوزر أحق بالإجابة [١]

---

(١) ابن حزم : الإمام أبو محمد بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهرى ت٤٥٦ هـ : الأصول والفروع : ج٢ ط١ دار النهضة العربية ١٩٧٨ تحقيق وتقديم :.د. عاطف العراقى وآخرون جزأن ص ٣٠٠-٣٠٢ .

رابعاً : نماذج من المعجزات والكرامات :

١ – معجزات وكرامات الأنبياء :

- آدم عليه السلام : هو أبو البشر الذى خلقه الله من طين (صلصال كالفخار) فأصبح إنساناً ، فكان خلقه معجزة ، وسجود الملائكة له تكريماً وكرامة ، واستخلافه الله فى الأرض كرامة ، وخلق حواء منه معجزة ، وتعلمه جميع الأسماء كرامة .[١]

فخص الله تعالى آدم دون خلقه بعلم ما لا يعلمه الملائكه وتعليمه جميع أنواع المسميات التى تقع تحت حسه ، (فعلم الله آدم الأسماء كلها) . البقرة آية ٣١-٣٣. وخصه الله بمعرفه أسرار الكون ، وقبل توبته وكل هذا من الكرامات .

- إدريس عليه السلام هو ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن أدم عليه السلام ، واسمه فى التوراة العبرية خنوخ وفى الترجمة العربية اخنوخ .

كان إدريس أول الأنبياء المرسلين للبشر من بنى آدم بعد آدم وشيث عليهما السلام . وكان أول من خط بالقلم وأول من رفع إلى السماء من الأنبياء وبلغ درجة عالية من العلم والخلق الرفيع فقال تعالى فيه " وأذكر فى الكتاب ادريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً " .[٢]

ولد إدريس بمصر وسمى هرمس الهرامسة ، وقال آخرون ولد ببابل . وعلم الله إدريس منطق البشر ومعارفهم وكان أول من علم الناس التمدن والسياسة والعلوم وكان أول من استخرج الحكمة وعلوم النجوم فقد أفهمه الله أسرار الفلك والكواكب وعدد السنين والحساب والطب وأسرار العلوم .

---

(١) راجع آيات القرآن : البقرة : ٣٤ ، الحجر : ٢٧-٣١-٤٣ ، الكهف ٥٠ ، ص ٧١-٧٤ – الإسراء : ٦١-٦٥ ، ص : ٧٥-٨٣ ، طه ١١٥-١٢٣ .

راجع : عبد الوهاب النجار . قصص الأنبياء ط١٩٨٥. ص.٥ ، ٦٦ ومحمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ج١ دار الفكر ط١٩٨٨ . ص ٧٨-٧٩ .

(٢) مريم : ٥٧ .

وكان أول من دعا قومه إلى التوحيد والعمل الصالح رغبة فى ثواب الآخرة وحثهم على الزهد فى الدنيا .

- **نوح** ﷺ : هو النبى الثانى بعد جده الأكبر إدريس : وهو أول الرسل كما فى حديث الشفاعة " يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض " (١)

سميت باسمه سورة فى القرآن " سورة نوح " كرامة له وتكريماً . وورد ذكره وقصته فى ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم .

كانت استجابة الله لدعائه كرامة له فى قوله : " رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً " (٢)

وكانت نجاته من أضلال قومه ومن الطوفان معجزة وكرامة ، صناعته للسفينة بوحى من الله, وكان بقاء زريته وزيادة نسله بعد الطوفان كرامة حيث بارك الله فيهم فكثروا وعمروا الأرض . فقال تعالى " وجعلنا ذريته هم الباقين "(٣)

- **هود** ﷺ : ذكر فى القرآن الكريم سبع مرات ، ووردت فى القرآن سورة باسمه ، أول من نطق بالعربية ، يرجع نسبه إلى قبيلة عاد من العمالقة ، ويعود نسب هود إلى سام ابن نوح ، كان قومه أطول أعماراً وأكبر أجساماً ، ومسلكنهم بأرض الأحقاف شمال حضرموت .

عصمه الله من أذى قومه الذين اتهموه بالجنون والسفه ، واستجاب الله لدعائه عندما أنذر قومه بعذاب الله لقاء عصيانهم وتركهم للإيمان وأفعال الخير .. فأحل الله بهم النقمه وسوء العذاب فأرسل الله عليهم الريح العقيم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فأهلكهم الله وأبادهم ونجى الله هوداً والذين أمنوا معه كرامة له وإكراماً .

- **صالح** ﷺ : ذكر فى القرآن تسع مرات ، وأرسله الله لهداية قوم ثمود كانت معجزته خروج الناقة من الصخرة الصماء أية على صدقه ، وجاء وصفها فى

---

(١) رواه أبو هريرة فى صحيح مسلم .

(٢) نوح : ٢٦-٢٧ .

(٣) الصافات : ٧٧ .

قوله تعالى : " وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد ما جاءتكم بينه من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم " . (١)

- إبراهيم عليه السلام : هو خليل الله الذى يرجع نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام .

- لم تقو النار على إحراقه معجزة له وكرامة تنفيذاً لأمر الله " يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم " (٢)

- وهبه الله الحجة الواضحة والمنطق السليم (كرامة) ووهبه الولد من زوجه العجوز العقيم كرامه له ، وكانت نجاته هو ولوط من القوم الظالمين الذين أرادوا الكيد له .. كرامة وجاء وصف معجزته وكراماته فى قوله تعالى : " قالوا حرقوه وانصروا ألهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الآخسرين ، ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين ." (٣)

- ونجاة ولده إسماعيل من الذبح معجزة وكرامة ، وتفجر بئر زمزم تحت قدم إسماعيل فى الصحراء معجزة وكرامة . وبناء البيت الحرام بمكة كرامة .

- وجعل النبوة فى أولاده كرامة فكان يعقوب ويوسف وإسحاق وإسماعيل وهو وذريتهم من الأنبياء .

- يوسف عليه السلام : هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

- هو نبى ابن نبى فتلك كرامة ومنه من الله سبحانه .

- سميت بإسمه سورة من سور القرآن الكريم كرامة له وتكريماً .

- وهبه الله القدرة على تأويل الرؤيا وفهمها وتفسيرها كرامة وتكريماً .

---

(١) الأعراف : ٧٣ .

(٢) الأنبياء : ٦٩ .

(٣) الأنبياء : ٦٨-٧٢ .

- نجاته من كيد إخوته عندما ألقوه فى غيابة الجب وهو طفل صغير وإنتقاله للعيش فى مصر كرامة له .

- عناية الله به ورعايته له وتعليمه أسرار تفسير الحديث وتيسير الشئون كرامة . جاء فى ذلك قوله تعالى : وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده أتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين " . (١)

- وكانت عصمة الله له الذى صرف عنه السوء والفحشاء كرامة .

- **موسى عليه السلام : هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام .**

- كان مولده فى زمن عصيب ونجاته ونشأته فى بيت عدوه وحفظه وعصمته من فرعون وملئة كرامة .

- كلام الله له مباشرة بغير وحى أو ملك معجزة له وكرامة .

- تحول العصا واليد وإيمان السحرة به وتصديقه معجزة له وكرامة .

- نبع الماء من الصخر له معجزة وكرامة " فأضرب بعصاك الحجر فأنفجرت أثنى - عشر عيناً إستجابة لدعاء موسى - معجزة له وكرامة .

- إحياء قتيل بنى اسرائيل بضرب جسده ببعض أجزاء البقرة التى أمروا بذبحها معجزة وكرامة .

- تظليل بنى إسرائيل بالغمام ليقيهم حر الشمس الشديد ونجاتهم من فرعون كرامة لموسى عليه السلام .

- البحر الذى تحول إلى أرض فكان انفلاق البحر بعصى موسى معجزة وكرامة .

- انزل المن والسلوى على بنى اسرائيل وألوان الغذاء الطيب دون جهد أو عناء معجزة وكرامة .

---

(١) يوسف : ٢٢ .

- رفع جبل الطور فوق رؤوس بنى إسرائيل دون وقوعه وتدميرهم معجزة وكرامة .

- ثناء الله تعالى على موسى وأخيه هارون كرامة كما فى قوله تعالى فى سورة مريم " واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ، وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ".

- داود عليه السلام : يرجع نسبه إلى يهوذا ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام

- أتاه الله الملك والحكمة والنبوة فى بنى إسرائيل . ودليله قوله تعالى : " فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء " .

- سخر الله لداود الجبال يسبحن بكره وعشياً ، والطير تسبح معه كما تفعل الجبال . معجزة وكرامة . آلان الله له الحديد معجزة وكرامة كما فى قوله تعالى : " وألنا له الحديد أن إعمل سابغات وقدر فى السرد " فيصبح فى يده لينا كالشمع يشكله بيديه دون حرق أو طرق .

- أتاه الله الحكمة وفصل الخطاب فتأتى أحكامه فاصلة وأقواله صادقة حكيمة معجزة له وكرامة .

- أنعم الله عليه بكتاب مقدس هو " الزبور " ليعلم الناس عبادة الله وبه معارف الأكوان وأخبار الزمان كما جاء فى القرآن الكريم وأتينا داوود زبورا ، وقوله تعالى : " ولقدكتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " .

- كانت الملائكة تحمل التابوت الذى فيه كتاب الله المقدس, معجزة وكرامة كما فى قوله تعالى : " وقال لهم نبيهم أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وهارون تحمله الملائكة .

- *سليمان* عليه السلام : أنعم الله عليه بالكثير من الإنعامات والكرامات منها :

- وهبه الله العلم والحكمة وعلم منطق الطير والحيوان ، فكان يفهم ما تريده الطير بأصواتها وكان يحاورها ويتخذ منها جنوداً .

- أتاه الله الحكم والنبوة منذ صباه ، وصف ذلك القرآن فى غير ما أية منها قولـه تعالى : " وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنـا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسـخرنا مـع داود الجبال " . [١] وقوله تعالى : " ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمـد لله الذى فضلنا على كثير من عـباده المؤمنين ، وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين" [٢].

- تسخير الرياح له يصرفها بأمره تنقل المطر والرخاء ويتنقل بها على بسـاطة ليتفقد أعمال الناس والجن معا .

- إسالة عين القطر له . (أى النحاس المذاب) كما نراه فى البراكين المشتعلة .

- تسخير الجن له يعملون بأمره فى بناء الهياكل والتماثيل والقدور .

- إسلام قوم سبأ وحضور الملكة بلقيس إلى مملكة سليمان وإحضار عرشها قبـل مجيئها بعلم الله وقدرته معجزة وكرامة . [٣]

- **عيسى** عليه السلام : هو آخر أنبياء بنى إسرائيل :

- ميلاده معجزة بلا أب ، فقد جاء من أمه مريم ولم يمسها بشر .

- جاء وصفه فى القرآن : " وجيها فى الدنيا والآخرة ومـن المقربيـن ". [٤] . فميلاده وجماله وقربه معجزة وكرامة .

- كلامه وهو فى المهد دفاعا عن والدته وتصديقا لها وإقرارا بصفتـه ونبوتـه معجزة وكرامة .

- وهبه الله العـلم والحكمة وعلم التوراة وأعطاه الإنجيل بشارة للنـاس ودليـلا على قـدرة الله ورحمته بالعباد ، كما جاء فى قـوله تعـالى : " إذ قـالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيـها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم النـاس فـى المـهد وكـهلا ومـن

---

(١) الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩.
(٢) النمل : ١٥ ، ١٦ .
(٣) راجع سورة النمل الآيات ٢٠-٤٤ .
(٤) آل عمران : ٤٥ .

الصالحين ، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسن بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل " . (١)

- جمعت الآيات التى جاء بها عيسى عليه السلام بين المعجزة والكرامة فخلق الطير من الطين وشفاء الأمراض التى لا شفاء منها وإحياء الموتى بإذن الله كلها معجزات خارقة .

- كذلك معرفة أسرار البيوت وما بها من طعام ، ويحلل لقومه أشياء كانت محرمة عليهم وقد جاء وصف هذه المعجزات والآيات فى قوله تعالى : ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وابرئ الأكمة والأبرص وأوحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدى من التوراة وأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم(٢)

- أنزل الله له ولقومه مائدة من السماء بها أطيب الطعام إكراماً له وتكريماً لقومه حتى يصدقوه ويؤمنوا برسالته ، ووردت آية بالقرآن باسم المائدة تكريماً لعيسى عليه السلام .

- مشيه على الماء معجزة وكرامة .

- رفعه إلى السماء عصمة له وحفظاً لنبوته معجزة وكرامة .

٢. معجزات النبى وكراماته :

- عام مولده ﷺ حمى الله الكعبة من أبرهة وجيشه, وفشل الأحباش فى الاستيلاء على الكعبة وتحطيمها ، وتخمد نار الفرس ، وتتساقط شرفات إيوان كسرى ويغيض ماء بحيرة ساوة ، علامات تكريم وبشاره بمولده ﷺ .

---

(١) آل عمران ٤٥-٤٨ .

(٢) آل عمران ٤٨-٥١ .

– البشارة بنبوته ومقدمه ووصفه واسمه وعلو شأنه وشأن أمته ، جاءت بالكتب المقدسة ، وشهد له بالنبوة قبل مبعثه أحبار اليهود الذين أدركوه ، منهم : عطاء بن يسار ، وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ، وبحير الراهب ، والنجاش وسيف بن ذى يزن وغيرهم ، فكان التصديق به والاعتراف بصدقه قبل ميلاده وقبل بعثته معجزة له وكرامة والبشارة به ثابتة فى التوراة والإنجيل وأنه آخر الأنبياء .

– الربح الوفير فى تجارته بركة وكرامة ، والغمامة البيضاء التى كانت تظلله طوال طريق رحلته والخير الوفير الذى أصاب حليمة السعدية مرضعته أثناء وجوده معهم فكان بركة وكرامة .

– نقاء وصفاء معتقده قبل البعثة فلم يعبد الأصنام ولم يشرك مع الآلهة شيئاً وظل على دين آبائه إبراهيم وإسماعيل من الحنيفية السمحة ، فكانت بشارة بنبوته وكرامة له .

– اشتهاره بالصدق والأمانة بين قومه منذ صباه حين حسم خلاف القبائل حول شرف وضع الحجر الأسود فى جدار الكعبة ، فكان هو صاحب الرأى السديد .

– نصرة الله له وتأييده بالأتباع والحكمة وفصل الخطاب ومحبة المؤمنين ، فتزايد الأتباع يوماً بعد يوم ، وكانت دعوته للفقراء والمستضعفين أسرع من قلوب الأثرياء ، وزويت له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها كرامة وتكريماً وقد تحقق ذلك فبلغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها .

– كانت هجرته من مكة إلى المدينة وخروجه وتنقله حتى وصوله يثرب ملئ بالكرامات : فليلة الهجرة أنقذه الله من تآمر قريش ووقوف صناديدها بالباب ينتظرونه ليقتلوه ، فخرج عليهم النبى ﷺ ووضع التراب على رؤوسهم وغشيتهم سنة من النوم فلم يروه ، وأنقذه الله فى رحلة الهجرة فى غار ثور عندما تعقبه أبو جهل ورجال قريش فكان الحمام بأعشاشه ونسيج العنكبوت حماية له وعصمة وكرامة . (١)

---

(١) حديث رواه ابن عباس وابن إسحاق من حديث محمد بن كعب .

- النصر والسلامة والاطمئنان والأمن والتوفيق طوال رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة كرامة للنبى ﷺ ، وقد وصف القرآن ذلك فى قوله تعالى : " إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم " . [١]

- وكانت سلامته ﷺ عندما أطعم السم فمات الذى أكله معه وعاش النبى ﷺ بعدها أربع سنوات ، وكلمه الذراع المسموم . [٢] .

- انشق القمر بدعوته فى مكة عندما سألته قريش آية . وكان انشقاق القمر أول معجزات ﷺ السماوية بدليل قوله تعالى : اقتربت الساعة وانشق القمر " [٣] .

- سبح الحصى فى يده الكريمة حتى سمعه الحاضرون. معجزة وكرامة وحن الجذع إليه حتى التزمه ، وتحركت الشجرة إليه وعادت إلى مغرسها بأمره معجزة وكرامة ، وقيل إن حنين الجذع كان كصوت الإبل فضمه رسول الله إليه فسكن [٤] .

- نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى شرب أصحابه وتوضأوا . وفى ذلك أحاديث متواترة عدة حتى قيل إن نبع الماء من يده كان أعجب من تفجر الماء من الصخر لموسى عليه السلام : رواه أبى نعيم فى الحلية والطبرانى فى الكبير من حديث أنس وغيره .

- وجاء فيه : عندما خرج النبى ﷺ إلى قباء وشعر الصحابة بالعطش ، أتى من بعض بيوتهم بقدح صغير وقال : هلم إلى الشرب ، قال أنس : بصر عينى نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ولم يرد القدح حتى رووا منه .

---

(١) التوبة : ٤٠ .

(٢) من حديث جابر ، والذى مات هو بشر بن البراء .

(٣) راجع : د. عز الدين فراج : حياة محمد نبى الإسلام . ط٢ بيروت ١٩٨٤ . ص ٥٦ - ٦١
وروى حديث انشقاق القمر كل من ابن عباس وابن مسعود والحديث متفق عليه .

(٤) رواه جابر و البخارى من حديث سهل بن سعد .

- ومن حديث ابن عباس أنه كان فى سفر فشكا أصحابه العطش فقال أئتونى بماء ، فأتوا بإناء فوضع ﷺ يده فى الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه .

- كانت بركة الدعاء وبركة الشفاء وبركة الطعام وبركة الماء كلها معجزة وكرامة له ﷺ ومثالها :

- مسح ضرع شاة حائل لا لبن فيها فدرت ، وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود وفعل ذلك أيضاً فى خيمة أم معبد الخزامية أثناء رحلته إلى يثرب فما إن أمسك بالشاه الهزيلة ومسح ضرعها حتى كثر لبنها وشرب الصحابة وترك بعض لبنها لأبى معبد .. بركة وكرامة . (١)

- مجرد وصوله ﷺ إلى المدينة تصالح المتخاصمين والمتحاربين وتحولوا إلى اخوة متحابين ، وزالت خلافات الأوس والخزرج وأصبحوا هم الأنصار وأخى بين المهاجرين والأنصار . كرامة للنبى وبركة .

- الراحة والأمان والاهتداء والشفاء بالقرآن بركة وكرامة .

- تحول العرب فى طباعهم وعاداتهم وأخلاقهم وجميع أحوالهم من النقيض إلى النقيض ، من جهل إلى علم ، ومن ضعف إلى قوة ، ومن عنف إلى حب وود ، ومن فرقة إلى وحدة ، ومن عبيد إلى سادة وقادة ، ومن جهل إلى علم ، ومن فوضى إلى نظام ، ومن فقر إلى غنى ، ومن قلة إلى كثرة معجزة له وكرامة.

- وأبطل الله بدعوته السحر والكهانة والرق والمهانة فعدمت أو كادت بركة وكرامة .

- أشفى أصحابه بدعائه وبكلام الله ومثالها: سقطت عين قتادة بن النعمان فى إحدى المعارك فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما رواه أبو نعيم والبيهقى فى دلائل النبوة وتفل فى عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية " متفق عليه من حديث على وسهل بن سعد " . وأصيبت ساق أحد أصحابه فمسها بيده فبرأت من حينها معجزة وكرامة .

---

(١) رواه أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد .

- وأطعم النفر الكثير من الطعام القليل فى منزل جابر وفى منزل أبى طلحة ويوم الخندق ، وأطعم الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير فى يدها فأكل الجنود كلهم حتى شبعوا . (١)

- وتفجر الماء فى عين تبوك وبئر الحديبية بعد جفافهما فجاشتا بالماء الوفير ليشرب الجيش .

- ورمى النبى ﷺ جيش العدو بقبضة من تراب فعميت عيونهم كما فعلها من قبل مع النفر الذين كانوا ببابه يوم الهجرة ووصف القرآن ذلك بقوله تعالى " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " . (٢)

- إخباره ﷺ بالغيوب وتحققها معجزة وكرامة ، ومثالها :

- أخبر النبى ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية ، وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظميتين وقد وقع .

- وأخبر النبى ﷺ أن عثمان ستصيبه بلوى بعدها الجنة .

- وأخبر أن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان ذلك (٣)

- وأخبر النبى ابنته فاطمة أنها أول أهله لحاقا به وكان ذلك .

- وأخبر أن أطول نساءه يداً أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يداً بالصدقة وأولهن لحوقا به ﷺ .

- واخبر النبى ﷺ عن رجل قاتل فى سبيل الله إنه من أهل النار فظهر ذلك وصدق عندما قتل هذا الرجل نفسه . (٤)

---

(١) متفق عليه من حديث جابر وانس وأبى نعيم فى الدلائل .

(٢) الأنفال : ١٧ . وروى الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع وذكره ابن مردوية فى تفسيره من حديث جابر وابن عباس .

(٣) متفق عليه من حديث أم حرام .

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة وسهل بن سعد .

- وأخبر النبى ﷺ سراقة بن مالك الذى كان يتبعه فى رحلة الهجرة بعد أن استغاثة سراقة ودعا النبى ﷺ له أخبره بأن سوار كسرى سيوضع فى يديه وكان ذلك (١) .
- وأخبر النبى ﷺ بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليله قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر عن قاتله وهو فيروز الديملى (٢)
- وأخبر أنه ﷺ سيقتل أبى بن خلف الجمحى فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيتة فيه . (٣)
- وأخبر فى جمع من الصحابة أن أحدهم فى النار وهو الذى قتل مرقداً واسمه ابن عنقرة ، وقال لآخر أخركم موتا فى النار فسقط آخرهم محترقاً ومات . (٤)
- واخبر ﷺ برحلة الإسراء والمعراج ، عندما أسرى به من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين فى لمح البصر ثم استقبال الأنبياء السابقين له فى المسجد الأقصى كرامة له ومعجزة من الله . ثم معراجه إلى السموات العلى وما رآه من أهوال يوم القيامة ومعارفه ومشاهداته لعالم الغيب والسموات كرامة ومعجزة .

جـ : نماذج من كرامات الأولياء :

من الثابت ظهور الكرامات على الأولياء والصالحين وعلى الصحابة والتابعين فى زمان النبى ﷺ وبعد وفاته فقد ظهر العديد من الكرامات ثم على الصالحين والمتقين من أمته . وفى القول بجواز الكرامات للصالحين والمتقين الصادقين فى إيمانهم وأفعالهم جاءت أقوال أصحاب الفرق والمذاهب ورجال التفسير والتاريخ الذين أوردوا العديد من هذه الكرامات .

---

(١) متفق عليه من حديث أبو بكر الصديق .

(٢) متفق عليه فى الصحيحين .

(٣) رواه البهيقى فى دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب .

(٤) ذكره الطبرانى والبهيقى .

١ – السيدة مريم ابنة عمران كان يأتيها رزقها من طعام وشراب من غير إحضار أو سعى منها أو علم أحد أو صناعته وكان معجزاً فى نوعه ووقته فكانت فاكهة الصيف تأتيها شتاء والعكس .

وذكر ذلك القرآن فى قوله تعالى : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً " قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " (١)

– حملها وولادتها لعيسى عليه السلام ووجود الشجرة المثمرة كرامة لها كظل وطعام كما جاء فى قوله تعالى : " قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك " [آل عمران ٧] . وسجلها القرآن فى قوله : " وهزى إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً " . [مريم ٢٥] .

– وكان دفاع عيسى عليه السلام عنها وهو فى المهد صغيراً كرامة لها ومعجزة . قال تعالى : فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبياً " [مريم ٣٠/٣٣] .

٢ – آصف رجل سليمان عليه السلام لم يكن نبياً ولكنه استجاب لطلب سليمان وتمكن من إحضار عرش الملكة بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى بلاد الشام فى طرفة عين . (٢) . ذكر ذلك القرآن فى قوله تعالى : " قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك [النحل ٤٠] دليل قوة إيمانه وقربه من الله .

٣ – جريج الراهب والصبى الذى ترك السحر وتبعه فكانت تبرئته من اتهام المرأة له ، حيث نطق الغلام الصغير باسم والده الحقيقى وهو الراعى كرامة وعلامة على صلاح الراهب وتقواه . رواه البخارى وأحمد عن أبى هريرة .

٤ – النفر الذين أووا إلى الغار من بنى إسرائيل فانحطت عليهم الصخرة . وكانوا ثلاثة أخلصوا الدعاء لله أن ينقذهم ويبقى على حياتهم فانفرجت الصخرة وكانت

---

(١) آل عمران : ٣٧ .

(٢) النمل : ٣٨-٤٠ .

أعمالهم الصالحة ودعائهم سبباً فى إنقاذهم كرامة . أكدت ذلك الأحاديث من رواية عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ .

٥ - كرامة أهل الكهف : حين استجاب الله لدعائهم ونجاهم من الملك الظالم الداعى إلى الوثنية - فكانت حمايتهم وبعثتهم بعد مماتهم آية معجزة دالة على قدرة الله ورعايته للمتقين من خلقه وقص القرآن الكريم قصتهم للدلالة على ثواب المتقين وقدرة الله وعظمته فقال تعالى : " في سورة الكهف : أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من أياتنا عجباً ، إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا أتنا من لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشداً ، فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ، ثم بعثنا هم لتعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً . (١)

٦ - كرامة أبو بكر الصديق : استجاب الله لدعائه أن يبارك فى الطعام كما يستجيب الله لدعاء المؤمنين الصادقين ، فعندما دعا فقراء الصفة وقت العشاء وكانوا كثرة مع قلة الطعام فدعا أبو بكر بدعاء النبى ﷺ فكثر الطعام وأكلوا جميعاً حتى تعجب أبو بكر وسأل زوجته قائلاً : يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ قالت وقرة عينى إنها الآن أكثر منها قبل ذلك دليل البركة والوفرة وانها لكرامة (٢) .

٧ - كرامة عمر بن الخطاب : وردت فى إلهاماته وحسن تأويله وفهمه وصائب رأيه فى عظائم الأمور شهد بذلك النبى ﷺ وصحابته ، ويستدل على ذلك بالحديث الذى رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ قوله : لقد كان فيما قبلكم من الأمم أناس محدثون (ملهمون) فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر . (٣)

ومن كراماتة أيضاً حادثة جيش نهاوند الذى أرسله عمر بن الخطاب وأمر عليه قائداً هو سارية ، وبينما كان يخطب عمر على المنبر فى المدينة فإذا به

---

(١) الكهف : ٩:١١ .

(٢) رواه البيهقى فى دلائل النبوة والرازى فى التفسير الكبير .

(٣) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها .

يصيح يا سارية الجبل يا سارية الجبل الجبل ، وبعد مدة عندما قـــدم رســـول مـــن الجيش حكا فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فإذا بصـــائح يصيـــح يـــا سارى الجبل الجبل فاسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى .

٨ – كرامة سفينة مولى رسول الله ﷺ عندما أخطأ سفينه الطريق إلى الجيـــش بأرض الروم فإذا بأسد يواجهه فقال له سفينة يا أبا الحارث (أى الأسد) أنا مولـــى رسول الله ﷺ وكان من أمرى معه كيف وكيف ، فأقبل الأسد لـــه يبصبصـــة (أى حركات من ذنبه) حتى قام إلى جنبه ، ثم أقبل يمشى إلى جانبه وصحبه الطريـــق حتى بلغ الجيش ورجع الأسد ادراجه .

المراجع

(١) ابن الجوزى : الإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي ت ٥٩٧هـ : تلبيس إبليس . دار القادسية الإسكندرية ط ٢ ١٣٦٨هـ .

(٢) ابن باديس : الإمام عبد الحميد : العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . رواية وتعليق محمد الصالح رمضان .ط دار الكتاب الجزائري . ط دار الكيلاني القاهرة .

(٣) ابن تيميه : الإمام أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ : استحسان الخوض في علم الكلام . فصل النبوات . نشرة مكارثي ١٩٥٣.

(٤) ابن حزم : الأصول والفروع . تحقيق وتقديم د.عاطف العراقي وآخرون جزآن . ط دار النهضة العربية ١٩٧٨.

(٥) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل . ٥ أجزاء . ط دار الجيل بيروت . تحقيق د.محمد إبراهيم نصر د. عبد الرحمن عميرة ١٩٨٥.

(٦) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ت ٥٩٥هـ : الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة . تقديم وتحقيق د. محمود قاسم . الأنجلو المصرية ط١ ١٩٥٥. ط٢ ١٩٦٤.

(٧) ابن رشد : تهافت التهافت . تحقيق . د. سليمان دنيا . ط دار المعارف ١٩٧١ - ط١٩٨٣ .

(٨) ابن رشد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . تحقيق د. محمد عمارة . ط٢ دار المعارف . القاهرة ١٩٨٣. وطبعة أخرى تقديم د. ألبير نصري . بيروت ١٩٨٦.

(٩) ابن رشد : تلخيص السفسطة . تحقيق محمد سليم سالم ط دار الكتب والوثائق ، القاهرة ١٩٧٣ .

(١٠) ابن رشد : تلخيص كتاب البرهان ، تحقيق د. محمود قاسم ، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢ .

(١١) ابن كثير : الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل : تفسير القرآن العظيم . ٥ أجزاء ط دار مصر للطباعة ١٩٨٨.

(١٢) ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري . لسان العرب خمس مجلدات . دار صادر بيروت ط١ ١٩٩٠, ط٢ ١٩٩٤.

(١٣) الآمدى : أبو الحسن على بن احمد بن محمد بن سالم المعروف بسيف الدين الآمدى : غاية المرام في علم الكلام . تحقيق حسن محمود عبد اللطيف . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٧١.

(١٤) الأشعرى : على بن إسماعيل ت٣٣٠ هجرية : مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين . تحقيق . محي الدين عبد الحميد . طبعة دار النهضة ١٩٦٩.

(١٥) آل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن : فتح المجيد . شرح كتاب التوحيد . طبعة دار الحديث القاهرة .

(١٦) الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب ت ٤٠٣ه : إعجاز القرآن . وهو بهامش الإتقان للسيوطي ط الحلبي القاهرة ١٩٥١ ، ط أخرى تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف .

(١٧) الباقلاني : البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامات والحيل . ط بيروت ١٩٥٨.

(١٨) البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩ ه . أصول الدين ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠ ، ط٣ ١٩٨١ .

(١٩) البغدادي : الفرق بين الفرق . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥ وطبعه أخرى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، وطبعه أخرى تحقيق طه عبد الرءوف سعد مؤسسة الحلبي القاهرة .

(٢٠) البهيقي : الإمام الحافظ الكبير أبي بكر احمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ : الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة مطبعة السلام العالمية . القاهرة ١٩٨٤.

(٢١) التفتازاني : سعد الدين عمر ت ٧٩١ هـ : شرح العقائد النسفيه . ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، طبعة أخرى تحقيق د. أحمد حجازي السقا . مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٨.

(٢٢) التهانوي : محمد علي الفاروق : كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق د . لطفي عبد البديع ط الهيئة المصرية ١٩٧٢.

(٢٣) الجرجاني : السيد الشريف علي بن محمد ت ٨١٦ هـ : شرح المواقف في علم الكلام تحقيق د. احمد المهدي . مكتبة الأزهر ١٩٧٦.

(٢٤) الخضيرى : د. زينب محمود : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى .ط دار الثقافة ١٩٨٣. ط الأنجلو المصرية ١٩٩٥.

(٢٥) الخليلي : الشيخ احمد بن حمد . مفتي عام سلطنة عمان . جواهر التفسير . طبعة مسقط .

(٢٦) الخياط : أبو الحسين عبد الرحيم . ت ٢٩٠ هـ . كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد .ط. بيروت ١٩٥٧ ، .ط. الند وة الإسلامية ١٩٨٨.

(٢٧) الرازي : فخر الدين محمد بن عمر الخطيب ت. ٦٠٦ هـ : أصول الدين . فصل النبوات . تحقيق . طه عبد الرءوف سعد . مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢٨) الزرقاني : محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن .ط.دار الفكر ١٩٨٨.

(٢٩) السالمي : نور الدين أبي عبد الله بن حميد . ت.١٣٣٢ هـ. مشارق أنوار العقول . ط١ ١٩٧٨ ، ط٢ دار الجيل بيروت ١٩٨٩.

(٣٠) السبحاني : جعفر : معالم النبوة في القرآن الكريم . بقلم جعفر الهادي ط٢ دار الأضواء بيروت ١٩٨٤.

(٣١) السبحاني : جعفر : مفاهيم القرآن . ج٤ دار الأضواء بيروت ١٩٨٦.

(٣٢) الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم : نهاية الإقدام في علم الكلام حرره وصححه الفريد جيوم . طبعة مكتبة المثنى ببغداد .

(٣٣) الصافي : د. محي الدين : قضية التوفيق بين الدين و الفلسفة عند مفكري الإسلام . ط مكتبة الأزهر ١٩٧٨.

(٣٤) الطبلاوي : د. محمود سعد : موقف ابن تيميه من فلسفة ابن رشد ط. ١٩٨٩م .

(٣٥) العبد : د. عبد اللطيف محمد : دراسات في الفكر الإسلامي ، الأنجلو المصرية ١٩٧٧.

(٣٦) العراقي : د. عاطف : تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية . ط٣ دار المعارف ١٩٧٦.

(٣٧) العراقي : د. عاطف : النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد ط٥ دار المعارف ١٩٩٣.

(٣٨) العراقي : د. عاطف : ثورة العقل في الفلسفة العربية . ط٦ دار المعارف ١٩٩٣.

(٣٩) العراقي : د. عاطف : المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد . ط ٣ دار المعارف ١٩٩٥.

(٤٠) العقاد : عباس محمود : ابن رشد ، دار المعارف. سلسلة نوابغ الفكر العربي(١).

(٤١) العقاد : عباس محمود : الفلسفة القرآنية . ط دار الإسلام . القاهرة ١٩٧٣.

(٤٢) الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد .ت. ٥٠٥ هـ .: مقاصد الفلاسفة . تحقيق د. سليمان دنيا . دار المعارف ١٩٦١.

(٤٣) الغزالي : الرد الجميل . تحقيق وتعليق د. عبد العزيز عبد الخالق .ط مجمع البحوث الإسلامية . المطابع الأميرية ١٩٧٤.

(٤٤) الغزالي : إحياء علوم الدين .ط المكتبة التجارية بمصر ١٣١٦هـ. ط بيروت ١٩٨٣.

(٤٥) الغزالي : تهافت الفلاسفة . تحقيق د. سليمان دنيا .ط ٧ دار المعارف ١٩٨٧.

(٤٦) الغزالي : المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال . تحقيق د.سميح دغيم دار الفكر اللبناني ط١٩٩٣.

(٤٧) الغزالي : مشكاة الأنوار في توحيد الجبار . تحقيق د.سميح دغيم دار الفكر اللبناني ط١ ١٩٩٤.

(٤٨) الفيروز أبادى : محمد بن يعقوب : ت ٨١٦ هـ : القاموس المحيط .

(٤٩) القطان : مناع : مباحث في علوم القرآن . ط مؤسسة الرسالة سوريا ١٩٨٣ ، ط مكتبة وهبة ١٩٩٧.

(٥٠) الماتريدي : أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي ت ٣٣٣هـ: تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة .ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١.

(٥١) الماتريدي : كتاب التوحيد . تحقيق د. فتح الله خليف . ط بيروت ١٩٧٠.

(٥٢) المراكشي عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية , القاهرة ١٩٦٣.

(٥٣) المصعبي : عبد العزيز بن إبراهيم الثميني : كتاب معالم الدين ج٢ ط وزارة التراث القومي . سلطنة عمان ١٩٨٦.

(٥٤) المغربي : د. علي عبد الفتاح : إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية , مكتبة وهبه ط١ ١٩٨٥.

(٥٥) المغربي : د. علي عبد الفتاح : النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي , مكتبة وهبه ط٢ ١٩٩٤.

(٥٦) النجار : عبد الوهاب : معجزات الأنبياء ، ط٥ مكتبة دار التراث ١٩٨٥.

(٥٧) الميداني : د. عبد الرحمن حبنكة : العقيدة الإسلامية وأسسها .ط٥ ١٩٨٨.

(٥٨) بدوى : د. عبد الرحمن : مؤلفات الغزالي ، وكالة المطبوعات . الكويت ط٢ ١٩٧٧.

(٥٩) بركة : د. عبد الغني محمد سعد : الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره ، ط١ مكتبة وهبه ١٩٨٩.

(٦٠) دي بور (ت.ج) : تاريخ الفلسفة في الإسلام . ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ط لجنة التأليف والترجمة النشر ١٩٣٨، ط٢ ١٩٥٤، ١٩٥٧.

(٦١) زايد : سعيد : الفارابي . ط دار المعارف ١٩٦٢.

(٦٢) زقزوق : د. محمود حمدي : المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت .ط٢ الأنجلو المصرية ١٩٨١.

(٦٣) شرف الدين : خليل : ابن رشد "الشعاع الأخير" دار مكتبة الهلال بيروت ط ١٩٨٢.

(٦٤) صليبا : جميل : تاريخ الفلسفة العربية . دار الفكر اللبناني ط٢ ١٩٧٢.

(٦٥) عبد الجبار : القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ت ٤١٥هـ : المغني ج١٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٦٦) عبد الغنى : د. مصطفى لبيب : مفهوم المعجزة بين الدين والفلسفة عند ابن رشد. ط دار الثقافة بالقاهرة .

(٦٧) عبده : محمد : رسالة التوحيد .ط. مكتبة القاهرة ١٩٦٠.

(٦٨) عمارة : د. محمد : المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد . ط. دار المعارف ١٩٧١.

(٦٩) فخرى : د. ماجد : ابن رشد فيلسوف قرطبة . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠.

(٧٠) فراج : د. عز الدين : حياة محمد نبي الإسلام ، ط٢ بيروت ١٩٨٤.

(٧١) قاسم : د. محمود : نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني ط٢ الأنجلو المصرية ١٩٦٩.

(٧٢) محمود : د. عبد الحليم : دلائل النبوة ومعجزات الرسول ، ط٢ دار الإنسان ١٩٨٤.

(٧٣) موسى : د. محمد يوسف : بين الدين والفلسفة في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط ط٢ دار المعارف ١٩٦٨.

(٧٤) نصار : د. محمد عبد الستار : في الفلسفة الإسلامية قضايا و مناقشات ج١ في المشرق . الأنجلو المصرية ط.١ ١٩٨٢.

المراجع الأجنبية

1- Ameer Ali: The spirit of Islam (the life and teachings of Mohammed, Calcutta, 1902.

2- Ernst and Marieluise Keller : Miracles in Dispute, philadelphia, 1969.

3- Fredreic platt and charles. H. Kelly, Miracles, London 1913.

4- Gilson, E : The spirit of Medival Philosophy, London, 1950.

5- Macdonald (D.B.): Aspects of Islam, New yourk 1911.

6- Macdonald (D.B.): Development of Muslim theology. first ed. London 1903, second ed. New yourk 1962.

7- Majid Fakhry: history of Islamic philosophy, first ed. Colombia university press 1970, second ed. London 1983.

8- Montogomery Watt: Islamic philosophy and theology. university of Edinbera, 1962, and 1964.

9- Tritton: Muslim theology, luzac company, 1947.

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة